

# المحاضرة الثانية

لسانيات دو سوسير

## توطئة:

ما انفكت الظاهرة اللغوية تبسط أمام الفكر البشري صنفين من القضايا، أحدهما نوعي، والآخر مبدئي عام، فأما الصنف الأول فيتمثل في عناصر اللغة باعتبارها نظاما مخصوصا له مكوناته "الصوتية"، و"الصرفية"، و"النحوية"، و"المعجمية"، ولكل هذه الأوجه فرع مختص من فروع الدراسة اللغوية، وهذا الجانب من القضايا نوعي باعتبار أنه متعلق بكل لغة، أما الصنف الثاني فيتصل بالمشاكل المبدئية التي يواجهها الناظر في اللغة من حيث هي ظاهرة بشرية مطلقة. ويتدرج البحث في هذه المسائل من تحديد الكلام، وضبط خصائصه إلى تحسس نواميسه المحركة له حتى يقارب مشاكل أكثر تجريدا، وأبعد نسبية كقضية أصل اللغة، وعلاقة الكلام بالفكر، وتفاعل اللغة بالحضارة الإنسانية فضلا عن مشكل الدلالة اللغوية ذاتها، وكيف يحدث إدراك العقل لمعاني الألفاظ، وقد أوكل العرف البشري دراسة هذه القضايا إلى الفلاسفة منذ ازدهار الحضارة اليونانية، حتى عُدد خوض اللغويين فيها تطرقا منهم للماورائيات.

وقامت اللسانيات المعاصرة فتأسست حسبما يفرضي إليه الفحص "الابستمولوجي" - المعرفي - على ركيزتين لا تخلوان من تناقض: تتمثل الأولى في النظر في اللغة من حيث هي ظاهرة بشرية عامة، فإذا باللسانيين يعكفون بموجب ذلك على تحسس نواميس الكلام بقطع النظر عن تجسده النوعي في أي لغة ما، وتتمثل الثانية في السعي إلى إدراك الموضوعية العلمية في تشريح الظاهرة اللغوية، فانتهوا رأسا إلى نبذ المطارحات الماورائية، وعزلوا بذلك فلسفة اللغة عن مباحثهم العامة والخاصة.

فالسانيات المعاصرة اليوم قد بلغت حد الاكتمال العلمي رغم قصر المسار الزمني الذي قطعتة، والذي يُجمع رؤاها على الانطلاق به من دروس "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure".

التعريف "بسوسير"<sup>1</sup>:

ولد "فرديناند دي سوسير" *Ferdinand de Saussure* في السادس والعشرين من نوفمبر عام 1857 م، "بجنيف" "Genève" في "سويسرا" "Suisse"، وهو سليل أسرة ذات إنجاز رصين في مجال العلوم الطبيعية، لكن "أدولف بيكتيت" "Adolphe Pictet" عالم اللغة السويسري وصديق الأسرة، وجهه وهو في سن مبكرة إلى الدراسة اللسانية، فتعلم "سوسير" الألمانية، والإنجليزية، واللاتينية، بالإضافة إلى الفرنسية، وعندما بلغ سن الخامسة عشر، أضاف إليهم معرفته باليونانية، وقد كتب "بيكتيت" مقالا عن اللغات حاول فيه التوصل لنظام عام للغة، يرجع فيه اللغات

<sup>1</sup> ينظر إلى ترجمة دي سوسير في المراجع الآتية:

دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز ومراجعة يوسف المطليبي، مط، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م، ص 03، 04.

Émile Benveniste, *Ferdinand de Saussure à l'École des Hautes Études, École pratique des hautes études. 4e section, Sciences historiques et philologiques Vol 97, no 1, 1964, pp. 20-34*

Pierre-Yves Testenoire, *L'école de Genève vue de la Société de Linguistique de Paris, Histoire Epistémologie Langage, vol. 37, no 2, 2015, p. 53-70*

Anamaria Curea, *Entre expression et expressivité: l'école linguistique de Genève de 1900 à 1940, ENS Éditions, Lyon, France, 2015, p 377.*

جميعاً إلى نظام يقوم على حرفين، أو ثلاثة من الحروف الساكنة الأساسية، وعلى الرغم من مقدار التبسيط الضخم الذي يَسِمُ هذه المحاولة، إلا أن "بيكتيت" لم يثبط عزيمته "سوسير"، وإنما شجعه على أن يدرس "السنسكريتية" "*Sanskrit*" - وهي لغة قديمة في "الهند"، وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية - وهو ما يزال تلميذاً بعد في المدرسة.

وفي عام 1875 م التحق "سوسير" بجامعة "جنيف" لكي يدرس الطبيعة، والكيمياء كما هو التقليد المتبع في عائلته، لكنه لم يمتنع عن دراسة نحو اللغة "اليونانية" و"اللاتينية"، وبعد قضاء سنة في هذه الدراسة، تيقن أن مجاله العملي الصحيح هو دراسة اللغة، وليس شيئاً آخر، ومن ثمّ أفتع والديه أن يرسلوه إلى جامعة "لايبزج" "*Leipzig*" "بألمانيا"، وقد كانت هذه الجامعة مقراً لحركة عرفت باسم "مدرسة فقهاء اللغة الجدد" "*Les néogrammairiens*"، وهي حركة ذات نزعة تاريخية مقارنة، استفاد منها "سوسير" كثيراً في أفكاره، وآرائه.

قضى "سوسير" في "لايبزج" أربع سنين إلا ثمانية عشر شهراً قضاها في "برلين" "*Berlin*" نشر فيها عام 1878 م مذكرة من أربع مقالات، عن "النظام البدائي لحروف اللين في اللغات الأوروبية والهندية" "*Mémoire sur le système primitif des voyelles dans les langues indoeuropéennes*" يصل حجمها إلى ثلاثمائة صفحة، وتكمن أهمية البحث في المشكلات المنهجية التي تعوق مجال الدراسات اللغوية، والتي تتسبب في اضطراب، وعدم استقرار نتائج البحث في الحقل اللغوي.

وفي عام 1880 م، أعد "سوسير" أطروحته من أجل الحصول على "درجة الدكتوراه"، وكانت بعنوان: "استخدام حالة الإضافة في اللغة السنسكريتية" "*De l'emploi du génitif absolu en sanskrit*"، وقد حصل عليها بامتياز، ثم رحل "سوسير" في العام نفسه إلى "باريس"، وحقق هناك نجاحاً ملحوظاً، حيث قام بتدريس كل من اللغة "السنسكريتية"، و"القوطية" - وهي لغة ألمانية منقرضة -، والألمانية الراقية القديمة، وغيرها من اللغات أيضاً في "المدرسة العملية للدراسات العليا" "*l'Ecole Pratique des Hautes Etudes*"، بالإضافة إلى نشاطه في "جمعية باريس اللغوية" "*Société de linguistique de Paris*"، مما كان له إسهامه في إنشاء جيل جديد من علماء اللسان الفرنسيين لم يكن موجوداً قبل مجيئه.

وفي عام 1891 م عاد "سوسير" إلى "سويسرا" إذ مُنح في جامعة "جنيف" كرسي الأستاذية للغة السنسكريتية والنحو المقارن، وتزوج وأنجب ولدين، "جاك" "*Jacques de Saussure*" توفي عام 1969 م، و"ريموند" "*Raymond de Saussure*" توفي عام 1971 م، ونادراً ما خرج "سوسير" للسفر، وتناقضت كتابته تدريجياً، وبدأ أنه يعيش حالة من العزلة المريحة؛ لكن في عام 1906 م إثر تقاعد زميله "جوزيف وريشيمر" "*Joseph Wersheimer*" وافق "سوسير" على أن يخلفه في كرسي "الألسنية العامة" "*La chaire de linguistique générale*"، ومن ثمّ ألقى ثلاثة مجموعات من المحاضرات كان تاريخها على النحو التالي: 1906-1907 / 1909-1910 / 1910-1911، ولم يجمع "سوسير" هذه المحاضرات في كتاب، ولم ينشرها هو، خاصة مع مرضه في صيف عام 1912 م، ثم وفاته في الثاني والعشرين من فبراير عام 1913 م.

وبعد وفاته شعر طلبته، وزملائه بأهمية تلك المحاضرات، وبما فيها من فكر رصين؛ فعملوا على نشر ما ألقاه من محاضرات في كتاب، وواجه ذلك صعوبة شديدة؛ لكون "سوسير" لم يحتفظ إلا بالقليل من المسودات الخاصة بتلك المحاضرات، ومن ثم لم يكن هناك حل سوى المذكرات التي قيدها الطلبة الذين حضروا له سلاسل محاضراته الثلاث، وكان "سوسير" قد ألف كل مجموعة منها تأليفاً جديداً، ووفق خطة مختلفة، وكانت هذه المذكرات تحوي كما هائلاً من التكرار، والتعارضات أحياناً، لذا أقدم كل من "شارل بالي" *Charles Bally*، و"ألبرت سيشيهاي" *Albert Sechehaye* زميلاً "سوسير" اللذان لم يحضرا المحاضرات بنفسيهما، أقدموا على الاجتهاد في أن يؤلفا من كل ذلك عملاً موحداً، يحاولا فيه تحقيق بنية مركبة، مع التسليم بأولوية السلسلة الثالثة من المحاضرات، دون إهمال السلسلتين الأخيرتين، وملاحظات "سوسير" القليلة التي سجلها بنفسه، وقد نشرا ذلك بمعاونة "ألبرت ريدلنجر" *Albert Riedlinger* في عام 1916 م تحت عنوان: "محاضرات في الألسنية العامة" *Cours de linguistique générale*، وجدير بالذكر أن مذكرات الطلبة نفسها لم تكن متاحة للقراء حتى عام 1967 م<sup>1</sup>، إذ في ذلك الوقت بدأ "رودلف إنجلر" *Rudolf Engler* في نشرها، وتقديمها لجمهور القراء.

### محاضرات "سوسير" في " اللسانيات العامة":

إن القضية الجوهرية التي استرعت انتباه "سوسير"، والتي اهتم بها منذ حقبة كبيرة سابقة على محاضراته منذ مذكرته الأولى عن "حروف اللين" عام 1878 م كما تقدم، هي قضية العلمية، والرغبة في الانضباط، والمنهجية، وفي الوصول إلى نتائج دقيقة مستقرة في مجال الدراسات اللغوية، لذا ظل "سوسير" لفترة طويلة - كما يقول هو نفسه في رسالة منه إلى أحد الناشرين - مشغولاً قبل كل شيء بالتصنيف المنطقي للحقائق اللغوية، وتصنيف وجهات النظر التي تعالج هذه الحقائق، وهو يرى في وجهات النظر هذه نقصاً شديداً، لا يتناسب، وما يتسم به الموضوع اللغوي من تنوع، وتباين، ويذكر "سوسير"

<sup>1</sup> جدير بالذكر أن كتاب "دي سوسير" ترجم إلى اليابانية سنة 1928، وإلى الألمانية سنة 1931، وإلى الروسية سنة 1933، وظهرت ترجمته إلى الإسبانية سنة 1945، وإلى الإنجليزية سنة 1959، ثم نقل إلى الإيطالية سنة 1967. ينظر: عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994 م، ص 09.

أما الترجمات العربية لكتاب "دروس في اللسانيات العامة" فكانت متعددة لعل من أهمها:

1. دروس في الألسنية العامة، ترجمة محمد عجيبة، ومحمد الشاوش، ومراجعة: صالح القرمادي، دار العربية للكتاب، تونس، 1985 م.
2. علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، مراجعة النص: العربي مالك يوسف المطلي، دار الآفاق، بغداد، العراق، 1985 م.
3. محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيد نصر، منشورات المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1986 م "طبعة مصورة عن طبعة بيروت، دار نعمان، 1986 م".
4. محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1987 م.

في هذه الرسالة أن هذه الأوضاع ربما تجربه على تأليف كتاب يشرح فيه لماذا لا يكتسب أي مصطلح معنى محدد في مجال الدراسات اللغوية، وإن كان تأليفه لهذا الكتاب سوف يكون بدون رغبة منه، وبدون حماس أيضا كما يذكر<sup>1</sup>. ولا يتضح من هذه الرسالة ما إذا كان "سوسير" قد نجح فعلا في التوصل إلى حل يقضي على هذه السلبيات الموجودة في مجال الدراسات اللغوية أم لا؛ لذا يرى "جوناثان كولر" *Jonathan Culler*، أن "سوسير" بكل ما توصل إليه من أفكار في محاضراته هذه، لم يكن على قناعة بأنه نجح تماما في حل المشكلات الجوهرية التي تعترض سبيل البحث في الدراسات اللغوية، وإلا كان قد ألف في ذلك كتابا ينشره هو بنفسه؛ لذا ينبه "كولر" إلى ضرورة النظر إلى أفكار "سوسير" في محاضراته، على أنها ليست أكثر من مجرد إيماءات لما يريد هو حقا في مجال "اللسانيات"، وليس كل ما يجب أن يكون فيها<sup>2</sup>.

وعودة إلى المحاضرات نفسها، ينبه "سوسير" في بدايتها إلى أنه سوف يتناول فيها "اللسانيات" "*linguistique*" ذاتها، ولكن "اللسانيات" من حيث حقيقتها "*Linguistique propre*"، ومن حيث ما يجب أن يكون فيها، ثم يبدأ في عرض المراحل الثلاث التي مرت بها الدراسة في مجال "اللسانيات"، وما حدث في هذه المراحل من تحولات كبرى متعاقبة، قام بها أولئك الذين يتخذون من "اللغة" هدفا لدراساتهم، لكنه يشير إلى أن هذه المراحل على حد سواء تعاني من خلل كبير، برغم أن المرحلة الأخيرة منها تمتلك وعيا بموضع دراستها بعكس ما هو الحال في غيرها. ويستطرد "سوسير" في عرض هذه المراحل، وفي توضيح الخلل المصاحب لكل واحدة منها، ويمكن تلخيص ذلك على النحو التالي:

**المرحلة الأولى:** مرحلة "الدراسة النحوية" "*L'étude de la grammaire*"، كما اخترعها "اليونانيون"، وواصلها "الفرنسيون" بعدهم دون تغيير فيها، ومشكلة هذه المرحلة أنها تهتم باللغة من منظور معياري؛ أي: أنها تفصل من خلال أسس ظاهرية بين ما هو صواب في اللغة، وما هو غير صواب، لذا لا تمتلك هذه الحركة أية رؤية فلسفية للغة، وإنما تعتمد بشكل أساسي على المنطق، وعلى تقسيماته.

**المرحلة الثانية:** مرحلة "الحركة الفيلولوجية" "*Mouvement philologique*"، لفقها اللغة الكلاسيكي "*Philologie Classique*"، وهي التي ظهرت مع بداية القرن التاسع عشر، وعلى الرغم من أن هذه الحركة أصبحت بفضل "فريدريك ولف" *Friedrich Wolf*، و"هاينس فورت" *Hence forth*، لا توجه اهتماما كبيرا لتصحيحات النحو، وعلى الرغم من أنها نظرت إلى النصوص المكتوبة ذاتها، وتناولتها بالبحث والتحليل، عائدة في ذلك إلى حقب زمنية مختلفة، حتى أنها اهتمت بالنقوش، وباللغات المكتوبة بها هذه النقوش<sup>3</sup>، وعلى الرغم أيضا من أن هذه الحركة نجحت في

<sup>1</sup> ينظر: ميشال أرفيه، البحث عن فرديناند دو سوسير، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، مراجعة نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م، ص 09.

<sup>2</sup> ينظر: جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 66، 67.

<sup>3</sup> ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 03، 2007 م، ص 64.

تقديم عدد لا حصر له من المقالات وثيقة الصلة "باللسانيات"، إلا أنها لم تستطع أن تصل إلى روح "اللسانيات" المطلوبة كما يريدتها "سوسير" أن تكون.

**المرحلة الثالثة:** وهي حركة تقع في "اللسانيات" ذاتها، وإن كانت غير ملحوظة، وهي حركة الدراسات المقارنة بين "اللغات"، وتصنيفها إلى مجموعات من اللغات، كاللغات "الهندو أوروبية" "*Langues indo-européennes*" مثلاً، لكن هذه الحركة ينتقدها "سوسير" لكونها لا تمتلك منظورا ألسنيا، أو على الأقل هي لا تمتلك منظورا صحيحا، فهي تعتمد بشكل أساسي على الناحية التاريخية فقط في دراستها للغات، وهو ما ينتج عنه وقوعها في خطأ دراسة اللغات في مستوى واحد لكل العصور المتباينة، كما أن هذه الحركة تحقق بشدة في مجال التمييز بين اللغات المتحدثة، والعلامات المرسومة. ومن أجل تخطي عيوب المراحل السابقة يتساءل "سوسير"، إذا كانت "اللسانيات" هي "دراسة اللغات دراسة علمية" كما يذكر كل من "أدولف هتزفيدل" *Adolphe Hatzfeld*، و"أريسن درمستيتير" *Arsène Darmesteter* و"أونتوني توماس" *Antoine Thomas* في قاموسهم "الدراسة العلمية للغات"، "*Dictionnaire de Hatzfeld et Darmesteter et Thomas étude scientifique des langues*" فكيف يمكن تحقيق كلمة "العلمية" هذه؟، ويجيب: بأن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا بتحديد كل من موضوع "اللسانيات"، وهدفها، ومهمتها، ويستفيض "سوسير" في تحديد هذين المحورين، حتى أن أغلب ما قاله في محاضراته بعد ذلك هو من باب تحديدهما وتوضيحهما، فهو يجعل منهما قضية جوهرية في سبيل تحقيق "العلمية"، ويجعل من تحديدهما والإلمام بهما هماً أساسياً يحاول تغطيه جميع جوانبه في الدروس اللاحقة من محاضراته.

### موضوع وهدف "اللسانيات" كما حددهما "سوسير":

يذكر "سوسير" أن موضوع "اللسانيات" هو "اللغة البشرية" بكل أنواعها المتعددة<sup>1</sup>، وفي كل الفترات، فما من اختيار لفترة دون غيرها، لتمييزها بسطوع أدبي، أو شهرة، أو اختيار للهجة دون غيرها، إذ ليس هناك تفضيل لأية لغة، أو لهجة على الأخرى في "اللسانيات"، ومن أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من التوثيق لكل العصور، يؤكد "سوسير" على ضرورة تعامل "اللسانيات" مع اللغة المكتوبة، بالاعتماد على "فقه اللغة" في هذا التعامل، وإذا كان ذلك يؤدي إلى تعامل "اللسانيات" مع "اللغة الرسمية"، إلا أنها سوف تنظر لهذه "اللغة الرسمية" على أنها تمثل غطاء، أو نظام سطحي فقط لحقيقة الموضوع، التي هي "اللغة المنطوقة" وحسب.

أما هدف "اللسانيات" من منظور "سوسير" فهو<sup>2</sup>: دراسة اللغات بهدف الوصول إلى:

**أولاً:** تحديد تاريخي لجميع اللغات المعروفة<sup>3</sup>، وإن كان هذا لا يمكن حدوثه إلا بتحديد فترة معينة، ومجموعة محددة من اللغات.

<sup>1</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 24.

<sup>2</sup> نفسه، ص 26 وما بعدها.

<sup>3</sup> ينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م، ص 22.

ثانياً: وإن كان هذا مختلفاً كثيراً عن الأول كما يقول "سوسير"؛ إذ هو يريد أن يأخذ من تاريخ اللغات نفسها، تلك القوانين التي تحكم أغلبها على نحو عام؛ إذ على "اللسانيات" من منظوره أن تعرف القواعد الكلية للعمليات الموجودة في اللغة، وبأسلوب وضعي صارم.

ويضيف "سوسير" إلى هذه الأهداف أهدافاً أخرى أكثر تخصصية، منها التعرف على ما هو مشترك بين "اللسانيات" والعلوم الأخرى<sup>1</sup>، لكون ذلك ينعكس إيجاباً على "اللسانيات" ذاتها، ويحقق أهم أهدافها الذي هو معرفة "اللسانيات" بنفسها، وتحديد ما يخصها عما يخص غيرها من العلوم الأخرى، وعلى الرغم من أنه يمكن "اللسانيات" أن تستفيد من العلوم الأخرى خاصة "علم النفس"، إلا أنها يجب أن تحافظ على بقاء استقلاليتها الخاصة بما عن غيرها من العلوم.

ويلفت "سوسير" النظر إلى أن "اللسانيات"، ظلت لفترة طويلة تعتقد أن ما يمثل جزءاً عريضاً من هدفها هو التركيز على جميع مظاهر اللغة، لكن "سوسير" يرد على ذلك بأنه خلط بين الفائدة الحقيقية "اللسانيات"، وبين الثقافة العامة، "فاللغة" محل اهتمام "اللسانيات" فهي تلعب دوراً كبيراً في المجتمع الإنساني، وأحد جوانب أهميتها يرجع لكونها فردية، واجتماعية في حياة البشر، إن "اللغة" هي ما يعطي معنى لكل ما هو غائم، وأغلب المهتمين بها عالجوها من ناحية الصحة والخطأ، ومن منظور "سوسير" فإن كل شخص حاول استخدام وسائله من أجل معرفة ما يحدث في اللغة من عمليات، كان بعيداً جداً عن الصواب؛ لذا فإن أهم ما يعطي "اللسانيات" احترامها، وقيمتها من منظوره، زعمها قدرتها على وضع مجموعة من الأفكار في موضعها الصحيح<sup>2</sup>، مما له أثره على توجيه الباحثين وجهة صحيحة، بعكس ما إذا وضعت هذه الأفكار في موضع خاطئ.

### "اللغة" و"اللسان" و"الكلام"

وفي إطار توضيح "سوسير" لبعض الأفكار التي وضعت في موضعها الصحيح بفضل "اللسانيات"، يعرض لتفرقة الجوهرية بين كل من "اللغة" "Langage"، و"اللسان" "Langue"، و"الكلام" "Parole"<sup>3</sup>، وهذه التفرقة كان لها أثر بعيد سواء على "اللسانيات" ذاتها، أو على تعلم اللغات، أو على "البنوية" "Structuralisme" نفسها فيما بعد، خاصة عندما تم التوسع في استخدام هذه التفرقة بالاعتماد على القياس، كما يذكر "ليونارد جاكسون" "Leonard Jackson"<sup>4</sup>.

ويبدأ "سوسير" حديثه عن تلك النقطة بتوضيح أهمية هذه التفرقة، التي من غيرها لا يمكن التعرف على "الظواهر اللسانية" "Phénomènes linguistiques"، ويحدث الكثير من الخلط في مجال الدراسات اللغوية، ومثال ذلك ما

<sup>1</sup> حنون مبارك، مدخل لللسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1987 م، ص 05.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005 م، ص 96.

<sup>3</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 26 وما بعدها.

<sup>4</sup> ليونارد جاكسون، بؤس البنوية الأدب والنظرية البنوية، ترجمة نادر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001 م، ص 80.

حدث من تركيز في السابق على "الجهاز الصوتي" *"Appareil vocal"*، ويشير "سوسير" إلى أن ذلك الاهتمام كان يقتضي اهتماما موازيا "بالكلمة" على "المستوى السمعي"، لكن حتى لو حدث ذلك، فإن الاهتمام الموجه "للكلمة" هنا، يظل أيضا اهتماما منصبا فقط على النواحي المادية الخاصة بها<sup>1</sup>، وذلك يخالف ما يريده "سوسير"؛ إذ هو يرغب في النظر إلى "الكلمة" على أنها اقتران بين "فكرة" *"Idée"*، و"علامة صوتية" *"Signe vocal"*<sup>2</sup>.

ويعود "سوسير" إلى هذين العنصرين ويشرحهما شرحا مفصلا تحت عنوان "الدال" *"Signifiant"*، و"المدلول" *"Signifié"*<sup>3</sup>، وكذلك يرغب "سوسير" في معاملة "اللغة" على أنها تتجُمع لمفردات مركبة معا، وليس لكونها "كيان متجانس" *"Entité homogène"*، لكن تحقيق هذه النظرة عند إجراء البحث الفعلي في اللغة ليس بالأمر السهل؛ إذ يمكن أن يحدث الكثير من الخلط، والتشويش بين ما هو تابع "للكلام"، وبين ما هو تابع "للغة". فكيف يمكن التغلب على ذلك بحيث يمكن تجنب هذا التشويش؟

هنا يقدم "سوسير" حله الذي يتبناه؛ فيوضح أنه يرى أن في كل فرد توجد "قدرة" تسمى: "قدرة إنتاج اللغة" *"La capacité de production de langue Articulée"*<sup>4</sup>، وهي "قدرة" متاحة لنا جميعا في حالة أولية، من خلال الإمكانيات العضوية المزود بها الجسم، لكن هذه "القدرة" لا يمكن استعمالها فعليا، وتحقيق إمكاناتها المادية، ما لم يغذيها شيء آخر من الخارج؛ أي: من خارج الفرد نفسه، هذا الشيء يكتسب الفرد براعته فيه، ويتقدم في تعلمه من خلال جهوده مع نظرائه في مجتمعه، وهذا الشيء هو "اللغة"، وهي تعني هنا "نظام اللغة"، وتمثل الفرد لهذا "النظام" هو ما يتيح له إمكانية استخدام تلك "القدرة" في التعبير عن مقاصده وأغراضه، وأفكاره الخاصة، وهذا الاستخدام "للغة"، وممارستها من قبل الفرد هو ما يطلق عليه "الكلام".

وهذان التمييزان بين "اللغة" كقواعد، ونسق، وبين استخدام الفرد لهذه القواعد "الكلام"، يقعان أساسا داخل المقدرة البشرية العامة على التحدث باللغات، تلك المقدرة التي أنتجت "اللغة"، ومع اختلاف المجتمعات، والأماكن الجغرافية؛ أنتجت العديد من "اللغات" المختلفة، التي ينقل بها متحدثوها معانيهم المرادة منهم إلى الآخرين، وهذه المقدرة البشرية العامة بما أنتجته من "لغات" مختلفة، ومتنوعة، هي ما يطلق عليها "سوسير" مصطلح "اللغات".

ويجعل "سوسير" مهمة "اللساني" هي البحث في "اللغة" ودراستها، وليس البحث في "الكلام"، ومن ثم يستفيض في توضيح، وذكر خصائص "اللغة"، التي تعين، وتساعد "اللساني" على البحث فيها بدقة ووضوح؛ فيذكر أن "اللغة"

<sup>1</sup> ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لوْنجمان، القاهرة، مصر، ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ودار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط 01، 1997 م، ص 22.

<sup>2</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 43.

<sup>3</sup> نفسه، ص 84 وما بعدها.

<sup>4</sup> نفسه، ص 90.

اجتماعية، فهي "منتج اجتماعي" *"Produit social"* بالضرورة<sup>1</sup>؛ بمعنى أنها ليست من صنع فرد، وإنما هي في الحقيقة تعود إلى المجتمع كله، إذ يسهم في إنتاج "اللغة" جميع أفراد هذا المجتمع، فإذا ما استطعنا استحضار كل ما هو كامن في عقول جميع أفراد هذا المجتمع، حتى وهم نائمون، نكون قد حصلنا على "اللغة" الخاصة بهم كما يقول، ومن ثم فإن مثار اهتمام الدراسة اللسانية هي "الخبرة المترسبة" في عقول جميع أفراد المجتمع.

وفي مقابل ذلك، فإن من خصائص "الكلام" أنه فردي<sup>2</sup>، فهو يعود إلى الفرد الذي ينشئه، وإن كان الفرد ينشئ "كلامه" من خلال ما تحدده له "اللغة" من قواعد ونسق، وبما يختار هو منها من بدائل متاحة له فيها، ويعود "سوسير" ويشرح في هذا الصدد فكرته حول "علاقات التراكيب" *Syntagmatique* و"علاقات الاقتران" *Associatif* فيما بعد، ولكن على الرغم من ذلك، فإن هناك علاقة متبادلة بين "اللغة" و"الكلام"، يشير إليها "سوسير" ويؤكد على أهميتها، وهي علاقة ارتباط وجود أحدهما بالآخر، إذ كما يعلق "فيليب وينر" *Philip Paul Wiener* على رأي "سوسير" حول هذه العلاقة فيقول: "بدون اللغة" يصبح "الكلام" مجرد تفوه صرف ليس له معنى أو دلالة، وبدون "الكلام" تصبح "اللغة" شيئاً مجرداً، ونظاماً فارغاً ليس له فائدة"<sup>3</sup>.

وفي الواقع منظور "سوسير" هنا يختلف كثيراً عما كان شائعاً عند علماء اللغة السابقين، بل وانتقد مرحلة الدراسة النحوية لكون علمائها ركزوا على النواحي المعيارية، وجعلوا من دراساتهم "دراسة توجيهية" *Prescriptif*، تهدف إلى توجيه المتعلمين إلى تعلم "اللغة المثالية الصحيحة" *Langue standard* كما يجب أن تكون، وقد انتقد عليهم "سوسير" ذلك، وانتقد عدم امتلاكهم منظوراً فلسفياً يُقَوِّمون به دراساتهم، أما "سوسير" فيتوجه توجهها آخر يخالف ذلك، هذا التوجه هو الدراسة من منظور "الوصف" *Descriptif*؛ أي: وصف "اللغة" من خلال مظاهرها من أجل التعرف عليها، وليس من أجل إصدار أحكام معيارية، وتوجيهية للمتعلمين<sup>4</sup>، وقد كان لتغير المنظور هذا كبير الأثر في تقدم الدراسات اللغوية، وتقدم الدراسات التي تعمل في الحقول الثقافية، والاجتماعية بعامه.

### "علاقات الاقتران" و"علاقات التراكيب"

يحاول "سوسير" أن يشرح كيفية تأليف "الكلام"، وذلك من خلال توضيح العلاقات التي يقيمها الفرد بين الكلمات عند محاولة تأليفه "لللكلام"، ومن ثم يرى "سوسير" أن العقل البشري يقيم نوعين من العلاقات بين "الكلمات"، النوع الأول: علاقات خارج "الكلام" نفسه<sup>5</sup>، وهي علاقات تنشأ في الذاكرة بين "الكلمات" التي تنتمي إلى مجموعات

<sup>1</sup> ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م، ص 54، وينظر:

دي سوسير، علم اللغة العام، ص 214 .

<sup>2</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 38 .

<sup>3</sup> Philip P. Wiener, *The Dictionary of the History of Ideas, Structuralism, University of Virginia Library, USA, 1973, Volume 4, p.323-324.*

<sup>4</sup> ينظر: عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية،

بيروت، لبنان، ط 02، 1996 م، ص 09.

<sup>5</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 40 .

مختلفة، أو متتاليات مختلفة، أو فئات مختلفة، لكي تدخل في علاقات تنوع، داخل الفئة الواحدة، وهذه هي ما يطلق عليها "سوسير" "علاقات الاقتران" "*Relations Associatives*"

أما النوع الثاني من العلاقات: فهي علاقات توجد داخل الكلام نفسه<sup>1</sup>؛ إذ تصبح الكلمات هنا خاضعة لنوع من العلاقات يختلف عن النوع الأول، لكنه نوع يتحكم في "الكلمات" من خلال ما يفرضه الترابط الحادث بينها، وهذا النوع من العلاقات يطلق عليه "سوسير" "علاقات التراكيب" "*Relations Syntagmatiques*" ويوضح "سوسير" أنه عند الحديث عن معنى الكلمة، نعود إلى النوع الثاني من العلاقات "علاقات التراكيب"؛ إذ في هذا النوع نجد هناك وحدات مرتبطة معا، ضمن نظام محدد، لكن عند الحديث عن النوع الأول من هذه العلاقات "علاقات الاقتران"، لا نجد أية وحدات مرتبطة معا، ولا أية ترتيب يحكم تجمع هذه الوحدات الموجودة في تلك العلاقات، ومن ثم يغدو البحث فيها غير مفيد، وعليه يرى ضرورة توجه البحث اللساني إلى النوع الثاني من هذه العلاقات، أي: إلى "علاقات التراكيب".

وبمرور الوقت، تغير مصطلح "سوسير" الأساسي الذي استخدمه، والذي يعني "علاقات الاقتران"، ليتحول بعده إلى مصطلح آخر هو: "علاقات الاستبدال" "*Relations Paradigmatiques*"، ويرى "جاكسون" أنه هناك ضرورة للتمييز بأن "سوسير" لم يستخدم أبدا مصطلح "علاقات الاستبدال"؛ وذلك لأنه يرى أن مصطلح "علاقات الاقتران"، أكثر اتساعا وأفضل بكثير في التعبير عن فحواه، من مصطلح "علاقات الاستبدال"، الذي استخدم في "اللسانيات" لاحقا، وصار ينسب إلى "سوسير" بكثرة، سواء في الشروح الكثيرة التي تناوله، أو في وجهات النظر التي تتعارض معه وتنقضه<sup>2</sup>.

### "الكلمة"، و"النظام"، و"القيمة"

بعد شرح "سوسير" "علاقات الاقتران" و"علاقات التراكيب" يخلص إلى أنه يجب توضيح أن في هذه العلاقات - سواء الأولى أو الثانية -، يجب النظر إلى "الكلمة" "*Terme*" على أنها "عضو" في نظام، تتربط فيه مع غيرها من "الكلمات" التي هي أعضاء أيضا في نفس هذا النظام، "فسوسير" يشدد على ضرورة النظر إلى "الكلمات" على أنها أجزاء في "نظام" "*systeme*"، ويؤكد على ضرورة عدم البدء بالكلمة من أجل الوقوف على النظام ذاته، وذلك لكونه يعطي إيحاء بأن الكلمة تمتلك "قيمة" "*valeur*" في نفسها<sup>3</sup>، وهذا ليس صحيح، إذ القيمة التي تكتسبها الكلمة تكتسبها من خلال دخولها في علاقة مع غيرها من الكلمات، وعليه فإنه يجب البدء من النظام نفسه، يجب البدء من ذلك "الكل المترابط"، فالكلمة في الحقيقة لا تمتلك أي معنى في ذاتها، ودليل ذلك أنها تتخذ أكثر من معنى في سياقات متعددة.

<sup>1</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 41 .

<sup>2</sup> ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 90.

<sup>3</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 131 .

ويشير "سوسير" إلى أن مصطلح "القيمة"، غالبا ما ينظر البعض إليه على أنه مرادف لمصطلح "المعنى" "Sens"، وهو يرى أن في ذلك بعض الغموض، والإرباك، ومن ثم يحاول توضيحه فيشير إلى أن "القيمة" هي عنصر في "المعنى"، لكن لا يجب النظر إلى "المعنى" على أنه أي شيء آخر بخلاف "القيمة"، أي على أنه يتواجد بذاته، دون ما تقتضيه "القيمة" من دخول الكلمة في علاقات تسفر عن تحديد معنى "الكلمة"<sup>1</sup>؛ ويشعر "سوسير" أن كلامه بهذا الشكل لا يؤدي المطلوب منه، ومن ثم يعرض للفارق بين رؤيته "للمعنى"، وبين الرؤية التقليدية السابقة له، إذ الرؤية التقليدية للمعنى تراه كامن في "الكلمة" نفسها، ومن ثم يصبح "المعنى" طبقا لهذه الرؤية نظيرا "للصورة السمعية" المنطوقة، أما رؤيته هو فتقوم على أن "القيمة" الخاصة بالكلمة تتحدد على أساس علاقات هذه الكلمة بغيرها في السياقات المختلفة، إذ هو يحذر من النظر إلى الكلمة على أساس أنها عنصر جوهري منفصل يمتلك معنى في ذاته، وإنما يجب دائما النظر إليها على أنها عنصر في "نظام"، وهي نقطة يلح عليها "سوسير" كثيرا في محاضراته هنا، فهو يؤكد على أن العامل الحاسم في تحديد معنى "الكلمة"، يرجع إلى "علاقتها" بالكلمات الأخرى المجاورة لها في السياق الموجودة فيه، يقول "سوسير": "النظام يقود إلى المفردة، والمفردة تقود إلى القيمة، وهكذا ترى أن المعنى يتحدد بالحاشية التي تقع حول المفردة"<sup>2</sup>.

وفي هذا السياق، يذكر "سوسير" أن أفكارنا ما هي في الحقيقة إلا جزء من "اللغة"، إذ فكرنا بدون "اللغة" يصبح "هلاما" ليس له معالم، وعلى هذا يخلص "سوسير" إلى إقرار أنه ما من أفكار موجودة، أو محددة من خلال نفسها، أو حتى من خلال "الأفكار" السابقة عليها، إذ لا يمكن تحديد أية "أفكار" من خلال "الأفكار" نفسها، وكذلك فما من "علامات" "Signes" موجودة لهذه "الأفكار"، إذ هو يرى أنه لا يوجد أبدا "فكرة"، أو تفكير سابق على وجود "العلامة اللسانية" "Signe linguistique".

وينبه "سوسير" عند نهاية حديثه عن "القيمة"؛ إلى أن "القيمة" كانت ستصبح غائبة المدى، ولا تحديد لها، لو لم تكن "اعتباطية" "Arbitraire"، إذ هذه الاعتباطية تضيق من الحدود المطلقة للقيمة، وعلى هذا فإن "القيمة" التي تتحدد في أي سياق، لا ترجع إلى أي اتفاق، أو ارتباط طبيعي بينها، وبين المعنى التي تعود إليه<sup>3</sup>.

### "العلامة"، و"المدال"، و"المدلول"

يرى "سوسير" أن "الكلمة" هي ذلك العضو الذي يدخل في "نظام" تتحدد من خلاله "القيمة" الممنوحة لها، تتكون في الحقيقة من عنصرين أساسيين، الأول هو "المفهوم" "Concept"، أما العنصر الآخر فهو "الصورة السمعية" "image acoustique"<sup>4</sup>، وينبه "سوسير" إلى أن "الصورة السمعية" هنا ليس المقصود بها "الجانب المادي للصوت" "Son physique"، أي: ليس ذلك الصوت الناشئ عن تحريك الفم، أو الذي تسمعه الأذن، وإنما هو "الأثر النفسي"

<sup>1</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 134 .

<sup>2</sup> نفسه، ص 131 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 139 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 41 .

"*Impression psychologique*" الذي يتركه الصوت فينا، فمثلا عندما يتحدث المرء مع نفسه<sup>1</sup>، كأن يستعيد قطعة شعرية في ذاكرته مثلا، فإن الفرد هنا يتحدث مع نفسه دون أن يحرك شفثيه، أو لسانه؛ أي: دون أن يحدث صوتا من الناحية المادية، لكنه يتحدث مع نفسه من خلال "الأثر النفسي" الذي يتركه الصوت في ذهنه، تلك هي "الصورة السمعية" التي يقصدها "سوسير".

وكل من "المفهوم" و"الصورة السمعية" يرتبطان معا بشكل وثيق حتى أن أحدهم يستحضر الآخر في ذهن الفرد، فإذا ما أخذنا مثلا مفهوما كـ "الشجرة"، سوف نجد أن له العديد من "الصور السمعية" المختلفة في اللغات المختلفة، وعند أفراد أحد هذه اللغات، فإن "الصورة السمعية" المعبر بها عن المفهوم "شجرة" فيها، تستحضر عندهم ذلك المفهوم "شجرة"، بينما لدى أفراد لغة أخرى تستحضر عندهم "صورة سمعية" أخرى لهذا المفهوم<sup>2</sup>.

ويطلق "سوسير" على "المفهوم" مصطلح "المدلول" "*Signifié*"، ويطلق على "الصورة الصوتية" المقترنة بهذا المفهوم مصطلح: "الدال" "*Signifiant*"، وهما الشقان اللذان تتكون منهما "العلامة" "*Signe*"، أما الشيء نفسه كما هو في الواقع، إذ تحدث "سوسير" كما هو واضح هنا عن "المفهوم" وليس عن الشيء نفسه، فهو يتحدث عن مفهوم /الشجرة/ وليس "الشجرة" نفسها، أما تلك الموجودة في الواقع، فإن "سوسير" يطلق عليها مصطلح "المرجع" "*Référent*". ويمضي "سوسير" بعد ذلك في تحديد طبيعة "العلامة"، فيذكر أنها "اعتباطية" "*Arbitraire*" تماما<sup>3</sup>، بمعنى أن الترابط الذي يحدث بين "الدال" و"المدلول"، لا يحدث وفقا لأية معايير أو الزامات، وإنما يحدث بطريقة "اعتباطية" تماما، فمثلا: ما من مبرر معين يجعل المفهوم "شجرة" - المدلول - يعبر عنه في "اللغة العربية" بالدال "ش.ج.ر.ة"، وأكبر دليل على ذلك أنه يعبر عنها بدال آخر في اللغات الأخرى، كـ *TREE* في اللغة الإنجليزية، و *ARBRE* في الفرنسية وهكذا. ويجيب "سوسير" على من يعترض على مبدأ "الاعتباطية"، بوجود أصوات تختار لكونها تبدو تقليدا للصوت المختار، كآهات الفرح، أو الحزن، أو الدهشة فهي تقريبا متشابهة في كل اللغات، ويجيب "سوسير" على ذلك بأنه على الرغم من كون هذه الحالات قليلة، إلا أنها أيضا تحوي جوانب "اعتباطية"، فهي لا تعدو أن تكون اختيارا لمحاكاة تقريبية شبه متفق عليها بين "اللغات"، لكنها ما إن تقحم في "لغة" ما، حتى تخضع لها صوتيا، وصرفيا، كما تخضع المفردات الأخرى لها<sup>4</sup>.

ومبدأ "الاعتباطية" يحتل مكانة خاصة في تفكير "سوسير"، إلى درجة أنه ينبه إلى أن أهمية مبدأ "اعتباطية" العلامة ربما لا تتضح من الوهلة الأولى، لكن إذا كانت "العلامة" في أساسها "اعتباطية" وليس هناك ما يحدد إلحاق "دال" معين بـ

<sup>1</sup> ينظر: صافية مطهري، الدلالة الایجابیة فی الصیغة الإفرادیة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003 م، ص 40.

<sup>2</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 84 .

<sup>3</sup> نفسه، ص 86 .

<sup>4</sup> نفسه، ص 85 .

"مدلول" معين، فما الذي يتحدد به "الدال" و"المدلول" ويمنع من تشوشهما<sup>1</sup>، وهنا يجيب "سوسير" بأن العامل الوحيد الذي يمنع تداخل، وتشوش "الدال" و"المدلول" هو "الاختلاف" "Différence"؛ أي: اختلاف كل واحد منهما عن الآخر، يقول "سوسير": "سواء كنت تتحدث عن "المعاني" أو عن عناصر "الدال" و"المدلول" فإنه لا يوجد إلا "الاختلاف" فقط، ففي الواقع لا يوجد "علامات"، وإنما يوجد فقط "اختلاف" بين "العلامات".

وفي هذا الشأن كثيرا ما يشار إلى تقسيم آخر للعلامات، وهو تقسيم "تشارلز سندرز بيرس" Charles Sanders Peirce، وهو لا يقيم تقسيمه للعلامات على أساس "الاعتباطية" كما هو الحال عند "سوسير"، وإنما يقسم العلامات إلى ثلاثة أنواع هي "الأيقونة" "Icône"، و"المؤشر" "Index"، و"الرمز" "symbole"، ويعرف كل منهما على النحو التالي<sup>2</sup>:

"الأيقونة" "Icône": هي العلامة التي تشير إلى الموضوع التي تعبر عنها عبر الطبيعة الذاتية للعلامة فقط، وتمتلك العلامة هذه الطبيعة سواء وجدت الموضوع أم لا، صحيح أن الأيقونة لا تقوم بدورها ما لم يكن هناك موضوع فعلا، وليس لهذا أدنى علاقة بطبيعتها من حيث هي علامة. وسواء كان الشيء نوعية، أو كائنا موجودا، أو عرفا، فإن هذا الشيء يكون أيقونا لشبيهه عندما يستخدم كعلامة له.

فالإيقونة إشارة تحتفظ بخصائصها المعنوية حتى لو لم يكن مرجعها موجودا، في حين أن الرمز يفقد صفته الدلالية إذا فقد تفسيره، كما هو الحال في الجملة العادية التي إن لم تحمل معنى، فلأننا نعطيها هذا المعنى، فالأيقونة تقوم على علاقة المشابهة، إنها تعبر عن موضوعها عبر نوع من التماثل بين الدال وموضوعه، ويتعلق الأمر في الحقيقة بمفهوم عام، لأن كل شبه بين علامة وموضوعها يمكن أن يكون بالضرورة كافيا للحديث عن علاقة أيقونية، وهكذا فكل شيء أيا كان، شخصا، أو شيئا، أو وضعية يمكنه أن يكون أيقونة، ما دام فيه علاقة شبه وتماثل وما دام هذا الشيء ذاته قد استخدم علامة. صورة الوجه (رسما أو نحتا) تشير إلى الشخص الذي تمثل تلك الصورة صورة وجهه ليس بأحد الأعراف العشوائية، وإنما بالشبه .

أما "المؤشر" "Index": فهو علامة يشير إلى الموضوع الذي عبر عن التأثير الحقيقي بذلك الموضوع، فهو لا يمكن أن يكون، إذن، العلامة النوعية لأن النوعية ماهية مستقلة عن أي شيء آخر، وبما أن "المؤشر" يتأثر بالموضوع، فالمؤشر يتضمن، إذن، نوعا من الأيقونة مع أنه أيقونة من نوع خاص، فليست أوجه الشبه فقط - حتى بصفتها مولدة للعلامة - هي التي تجعل من "المؤشر" علامة، وإنما التعديل الفعلي الصادر عن الموضوع هو الذي يجعل من المؤشر علامة.

"المؤشر" هو علامة تحيل إلى الشيء الذي تشير عليه بفضل وقوع هذا الشيء عليها في الواقع، فالغيوم المكتفة مثلا تدل على المطر، وارتفاع درجة الحرارة تدل على المرض وهكذا.

<sup>1</sup> ينظر: رومان جاكسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2002 م، ص 32.

<sup>2</sup> C.S. Peirce, *Ecrits sur le Signe, Le Seuil, Paris, FRANCE, 1978, p121.*

أما "الرمز" "symbole": فهو علامة تشير إلى الموضوع الذي يعبر عنه عبر عرف معين، غالباً ما يقترن بالأفكار العامة التي تدفع إلى ربط الرمز بموضوعه؛ فالرمز، إذن، نمط عام أو عرف، أي: أنه العلامة العرفية، ولهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة، وهو ليس عاماً في ذاته فحسب، وإنما الموضوع الذي يشير إليه يتميز بطبيعة عامة أيضاً، وهو الإشارة التي تقود إلى الشيء الذي تدل عليه بفعل قانون يتكون عادة من تداع عام للأفكار، وتحدد ترجمة الرمز بالرجوع على هذا الشيء<sup>1</sup>.

و"العلامة الرمز" هي "علامة مجازية" لشيء هو في الواقع لا ارتباط له بالشيء المرموز إليه، فمثلاً: العلامة المجازية "للميزان" تدل على الفكرة المجردة للعدالة.

ويرى "جوناثان كولر" "Jonathan Culler" أن هذا التقسيم للعلامات، بشقيه الأول والثاني غير مفيد للبحث في المجالات الثقافية، وإن كانت كلها تصر على أن "العلامة" هي في النهاية، "شكل" يدل و"معنى" يُدَل عليه، إلا أن القسم الثالث من هذا التقسيم حيث العلاقة بين "الدال" و"المدلول" علاقة "عرفية" بتعبير "بيرس"، ويرى "كولر" من منظوره أن مصطلح "عرفية" مساو لمصطلح "اعتباطية" عند "سوسير"؛ ذلك لأن هذا النوع من العلامات يحث على دراسة نظام الأعراف الذي تخضع له وتنتج المعنى من خلاله، ولا يمكن شرح هذه العلامات إلا عن طريق دراسة هذا النظام وإعادة بنائه، وبالتالي لا يرى "كولر" أن هذا التقسيم يتعارض مع تقسيم "سوسير"، وإنما هو تأكيد ودليل على صواب رؤية "سوسير" للعلامة اللسانية<sup>2</sup>.

وفي الواقع رؤية "سوسير" حول "العلامة" و"اعتباطيتها"، تواجه الكثير من الاعتراضات، منها الإحساس الذي يتسرب إلى المرء بأن "العلامات" بها شيء طبيعي من "المفهوم" الذي تعبر عنه، كالإيجاء بأن هناك ما هو كبير وضخم في كلمة "فيل"، وإن كان يمكن الرد على ذلك بأنه ربما يرجع لكوننا نفكر عملياً بهذه العلامات طوال الوقت، مما يعزز العلاقة بين "الدال" و"المدلول"، حتى تبدو وكأنها علاقة طبيعية تماماً، لكن مبدأ "الاختلاف" الصرف الذي يستنتجه "سوسير" من "اعتباطية" العلامات هو ما يثير القلق بشدة في الحقيقة، ذلك أن إقرار كون العلامات لا تتحدد قيمتها إلا بكونها تخالف كل العلامات الأخرى، يؤدي إلى الكثير من الخلط والتشويش عند محاولة تعريف كلمة ما، حتى لو كانت هذه الكلمة بسيطة، ككلمة "الخالة" مثلاً، إذ طبقاً لمنطق "سوسير" سنضطر لتعريفها بأنها، كما يذكر "جاكسون": "ليس أبا، ليس أما، ليس أختاً، ليس فيلاً، ليس نمراً، ليس... ليس... إلى أن يتم استنفاد جميع الخيارات اللغوية الأخرى المتاحة، وبهذا نكون ساعتها قد عرفنا كلمة "خالة"، وواضح أن الوقوف على تعريف علامة ما بهذه الطريقة هو أمر مستحيل منطقياً<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بيرس، تصنيف العلامات، ترجمة فريال جبوري غزول، دار الياس العصرية، القاهرة، مصر، 1986 م، ص 142.

<sup>2</sup> ينظر: جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ص 166.

<sup>3</sup> ينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 84، وص 316، وص 317.

وفي نهاية الحديث عن "العلامة" و"الدال" و"المدلول" عند "سوسير"، ينبغي الإشارة إلى ملاحظة هامة، وهي أن "سوسير" هنا لا يبدي أي اهتمام "بالمعنى" كما هو في الواقع، فهو غير مهتم بكيفية تكوينه، أو بكيفية إدراكه، أو غير ذلك من الأمور التي يتناولها الفلاسفة عادة عند التعامل مع "المعنى"، وإنما اهتمامه الأساسي موجه إلى "اللغة" بوصفها نظاما وقواعدا، ومن ثم يسعى إلى تحديد هذا "النظام" ويسعى إلى الكشف عن هذه "القواعد"، دون توجيه أي اهتمام إلى كشف أو تحديد "المعنى" الذي سوف يعمل هذا "النظام" وهذه "القواعد" على نقله وإنتاجه في "كلام" أو "كتابة" الأفراد المتحدثين "باللغة".

### "التزامني"، و"التعاقبي"

يشير "سوسير" إلى أن البحث اللساني قد تجاهل لفترة طويلة البحث في اللغات في حالاتها السكونية "États Statique"، وقد كان هذا النوع من البحث سائدا منذ آلاف السنين من قبل، ثم أهمل منذ القرن التاسع عشر، إذ عمد فقهاء اللغة في تلك الفترة إلى دراسة النصوص المكتوبة بلغات ميتة، بهدف اقتفاء أثر تاريخ اللغات، وتحديد ما طرأ عليها من تغير، خاصة تلك التغيرات التي حدثت في النواحي الصوتية، دون إهمال التغيرات التي حدثت في القواعد، والمفردات<sup>1</sup>، وكان من نتيجة دراساتهم "التعاقبية" "Diachronique" تلك ما توصلوا إليه من رسم شجرة عائلة تجمع بين لغات مثل: "الفرنسية"، و"الإسبانية"، و"الإيطالية"، كلغات مشتقة من اللاتينية، وشجرة أخرى تجمع بين "الإنجليزية"، و"الهلندية"، و"الألمانية"، كلغات لها سلف جرمانى، ثم أرجعوا الشجرتين إلى سلف "هندو - أوروبي" أصلي، رأوا أنه ربما كان متحدثا في "الجر"، أو "أوكرانيا"، أو "إيران" منذ آلاف السنين قبل ذلك<sup>2</sup>.

وهذا البحث لا يؤدي الغرض المطلوب منه من وجهة نظر "سوسير"، فهو يرى أنه على الرغم من الجهد الضخم المبذول فيه عند استقصاء النواحي التاريخية والتطويرية التي حدثت في "لغة" ما من "اللغات" المختلفة، إلا أنه غير كاف أبدا للوقوف على "العلامات" وتحديدتها في "لغة" ما، دون دراسة هذه "اللغة" دراسة "تزامنية" "Synchronique"، ومرد ذلك أن "العلامات" على الرغم من كونها "اعتباطية"؛ أي: أنها تخضع للتاريخ في تطورها وتغيرها، إلا أنه نظرا "لاعتباطيتها" هذه لا يمكن تحديدها ومعرفتها معرفة صحيحة، في فترة زمنية محددة، إلا بالنظر إلى علاقاتها بالعلامات الأخرى، في تلك الفترة، ودراسة هذه العلاقات دراسة "تزامنية"، تهدف إلى الكشف عنها وتحديدها، وليس إلى معرفة تطوراتها وتغيراتها.

و يرى "سوسير" أن الدراسة "التزامنية" التي تعتمد إلى الوقوف على العلاقات والخصائص التي تحكم "لغة" ما من "اللغات" في فترة زمنية معينة، تعين وتساعد أيضا في القيام بدراسات "تعاقبية" تهتم بالجوانب التطورية في "اللغات" المختلفة، وعلى نحو أكثر علمية أيضا؛ وذلك لأنه يرى أن "النظام" الذي تخضع له "لغة" من "اللغات" لا يتغير كله تماما في تطوره التاريخي؛ أي: أن ليس "نظاما" محددًا قد أنتج "نظاما" آخر، وإنما ما حدث هو أن بعض عناصر هذا "النظام" السابق حدث فيها تغير، والتغير في بعض عناصر "النظام" كفيل بأن يخرج إلى الوجود "نظاما" آخر مختلفا عنه، وبالتالي فإن الوقوف على "النظام" في حالته السابقة، وتحديده تحديدا علميا دقيقا، من خلال دراسته دراسة "تزامنية"، يؤدي إلى التعرف بشكل

<sup>1</sup> دي سوسير، علم اللغة العام، ص 109 .

<sup>2</sup> ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 82، 83.

أيسر على العناصر التي تغيرت وأنتجت "النظام" التالي له، والتي تتضح بسهولة أيضا عند دراسة ذلك "النظام" التالي دراسة "تزامنية"، وهكذا فإنه من خلال القيام بالعديد من الدراسات "التزامنية" لفترات زمنية متعددة، يمكن بناء معرفة "تعاقبية" "للغة" بشكل أكثر علمية عما إذا تم الاعتماد على الدراسة "التعاقبية" فقط<sup>1</sup>.

### ملاحظات على محاضرات "سوسير"

لعل أول ملاحظة أن كتاب "دروس في اللسانيات العامة" لم يكتبه "دي سوسير" بنفسه، وكما يرى "كولر" - ربما أن "سوسير" - لم يكن قد توصل إلى فكرة كاملة واضحة حول ما يجب أن يكون في الدراسات اللسانية بالضبط<sup>2</sup>، والمدقق في المحاضرات نفسها، يشعر أن "سوسير" كان يطور ويعدل من أفكاره أثناء المضي في هذه المحاضرات، فمثلا هو يقدم أولا "العلامة" كـ: "مفهوم" و"صورة سمعية"، ثم يعود ويسمي "المفهوم" بـ "المدلول"، ويسمي "الصورة السمعية" بـ "الدال"، ويتدرج في شرح، وتفسير "القيمة" خارج "اللغة" ثم داخلها، ثم تبيان أن "المعنى" الخاص بأي كلمة لا يتحدد على نحو دقيق، إلا بالنظر إلى علاقتها بما حولها، وغير ذلك من التدرج، الذي يشعره، وأنه كان في مرحلة تعديل، وتطوير دائبين لأفكاره، ولذا فإن الكثير من الذين يتعرضون لأفكاره بالشرح، والتحليل يضطرون إلى التقديم والتأخير فيها؛ لكي تبدو أفكاره ذات لحمية أكثر تماسكا، ناهيك عن كون الصورة النهائية لمحاضراته هي من تأليف "شارل بالي"، و"ألبرت سيشيهاي"، وليست من تأليفه هو نفسه أساسا.

وقد تعرضت أفكار "سوسير" إلى التعديل والتطوير، وأحيانا إلى إساءة التفسير أيضا، أو بتعبير "جاكسون" تم إعادة بناء "سوسير" بحيث يخدم أغراضا معينة<sup>3</sup>؛ لذا فمن الضروري فهم آراءه الأساسية على وجهها الصحيح، ومعرفتها معرفة دقيقة، وجددير بالملاحظة أن "سوسير" ألقى محاضراته وأوروبا على حافة انهيار تاريخي كما يقول "تيري إيجلتون" *Terry Eagleton*<sup>4</sup>، ولم يعيش "سوسير" لكي يرى آثار هذا الدمار الذي تركته "الحرب العالمية الأولى"، ولا الثورات التي اجتاحت أوروبا بعدها، وهي الثورات التي سحقت جميعها بعنف شديد، وفي ظل هذا الوضع السياسي والاجتماعي المظلم سوف يتم إعادة تنظيم آراء "سوسير"، وتوسيع دائرة تطبيقها، لتنتقل من حقل "اللسانيات" إلى حقول أخرى كثيرة.

### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2005 م.

<sup>1</sup> جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ص 92 وما بعدها.

<sup>2</sup> نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> يلح "ليونارد جاكسون" علي هذه النقطة كثيرا في كتابه: "بؤس البنيوية"، وهو يجعل من الدفاع عن إساءة قراءة "سوسير"، ومن توضيح الخلط الذي تتعرض له آرائه عند الكثيرين، يجعل من ذلك هما أساسيا في كتابه هذا، ينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ص 17، 32، 102-103، 167، 304..

<sup>4</sup> تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1991م، ص 73.

2. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 03، 2007 م.
3. بيرس، تصنيف العلامات، ترجمة فريال جبوري غزول، دار الياس العصرية، القاهرة، مصر، 1986 م.
4. تيري ايجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 1991 م.
5. جوناثان كولر، فرديناند دي سوسير أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة عز الدين اسماعيل، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، مصر، 2000 م.
6. حنون مبارك، مدخل لللسانيات سوسير، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1987 م.
7. دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوثيل يوسف عزيز ومراجعة يوسف المطلبي، مط، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م.
8. رومان جاكسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، وحسن نظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2002 م.
9. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ومكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ودار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، ط 01، 1997 م.
10. صفية مطهري، الدلالة اللاحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003 م.
11. عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة (بحث في الخلفيات المعرفية)، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994 م.
12. عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بيروت، لبنان، ط 02، 1996 م.
13. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
14. ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة تائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001 م.
15. مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م.
16. ميشال أريفيه، البحث عن فرديناند دو سوسير، ترجمة محمد خير محمود البقاعي، مراجعة نادر سراج، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م.

## المراجع باللغة الأجنبية:

1. Anamaria Curea, *Entre expression et expressivité: l'école linguistique de Genève de 1900 à 1940*, ENS Éditions, Lyon, France, 2015.
2. C.S. Pierce, *Ecrits sur le Signe*, Le Seuil, Paris, FRANCE, 1978.
3. Émile Benveniste, *Ferdinand de Saussure à l'École des Hautes Études, École pratique des hautes études. 4e section, Sciences historiques et philologiques Vol 97, no 1, 1964.*

4. *Philip P. Wiener, The Dictionary of the History of Ideas, Structuralism, University of Virginia Library, USA, 1973, Volume 4.*
5. *Pierre-Yves Testenoire, L'école de Genève vue de la Société de Linguistique de Paris, Histoire Epistémologie Langage, vol. 37, no 2, 2015.*

# المحاضرة الثالثة

حلقة موسكو

## توطئة:

يذهب كثير من الدارسين إلى أن الدوال تدل، وتتواصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومنها: "اللغة"، و"العلامات"، و"الخطابات"، و"الأنساق"، و"الإنسان"، وسائر الكائنات الموجودة في الطبيعة، ويعني هذا أن كل شيء في عالمنا يحمل دلالة، ووظيفة، وهذه الوظيفة قد تكون ذات مقصدية، أو بدون مقصدية، ذات ميزة فردية، أو جماعية، طبيعتها مادية، أو معنوية، كما أن هذه الدوال التواصلية قد تكون لفظية، أو غير لفظية، تعبر عن وعي، أو عن غير وعي، واليوم أصبح التواصل عبارة عن تقنية إجرائية، وأساسية في فهم التفاعلات البشرية، وتفسير النصوص، والخبرات الإعلامية، والتحكم في كل طرائق الإرسال، والتبادل، وتعد اللغة من أهم آليات التواصل، ومن أهم تقنيات التبليغ، ونقل الخبرات، والمعارف من "الأنا" إلى "الغير"، أو من "المرسل" إلى "المخاطب"، وهذه اللغة على مستوى التخاطب، والتواصل، والتمظهر ذات مستويين سلوكيين: "اللفظي" و"غير لفظي".

فالدارس اللساني يتمعن في خصائص هذه اللغة، ولذلك أسست المدارس اللغوية واللسانية لدراسة هذه الملكة - اللسان -، فالمدرسة اللسانية أو اللغوية هي مجموعة من المفاهيم التي تتبناها طائفة من اللغويين، بحيث تجمعهم وجهة نظر واحدة للغة، ومنهج واحد في معالجة الظواهر اللغوية، مهما اختلفت أوطانهم وجنسياتهم، فالمدرسة نظرية، أو إطار فكري عام معين يتخذ لمعالجة البحث اللغوي، فلا تعد المدرسة مدرسة إلا إذا حددت رؤى، وأهدافا ثابتة، واتخذت لنفسها أصولا، وأساسا مخصوصة، ورسمت منهجا واضحا تسيير عليه في معالجة المسائل، والقضايا.

فالنزعة "البنوية الروسية" مثلا *structuralisme russe* بالمعنى المحدد للكلمة - لم تظهر إلى حيز الوجود إلا عام 1928 م<sup>1</sup>، وذلك في "المؤتمر العالمي لعلوم اللسان" *Congrès Mondial de Linguistique* المنعقد بمدينة "لاهاي" *La Haye* "بمولندا" *Pays-Bas*، عندما قدم كل من "رومان جاكبسون" *Roman Jakobson*، و"سيرجي كارسفسكي" *Sergueï Kartsevski*، و"نيكولاي تروبتسكوي" *Nicolai trubetwkoy* بحثا علميا يتضمن الأصول الأولى لهذه النزعة، ولم يلبثوا أن أصدروا بعد ذلك بيانا أعلنوه في "المؤتمر الأول للغويين السلاف" *Première conférence des linguistes Slaves* الذي انعقد في "براغ" *Prague* عام 1929 م استخدموا فيه كلمة "بنية" *Structure* بالمعنى المستعمل اليوم، ودعوا فيه إلى اصطناع "المنهج البنوي" بوصفه "منهج علميا" صالحا لاكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية تطورها<sup>2</sup>.

فإن الأصول الأولى "للحركة البنوية الروسية" قد تكونت في مدارس خاصة، عرفت "بمدارس الدراسات السلافية التقدمية"، ومن أهمها "حلقة موسكو اللغوية" *Cercle Linguistique de Moscou*، ولعل "رومان جاكبسون" *Roman Jakobson* يعد من أهم مؤسسي النظريات اللسانية المعاصرة، ومن من أهم رواد الشكلائية

<sup>1</sup> ينظر: استيتية سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 02، 2008 م، ص 161.

<sup>2</sup> ينظر: فكتور إيرليخ، الشكلائية الروسية، ترجمة الوالي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 2000 م، ص 14.

الروسية الذين اهتموا بنظرية الأدب تنظيراً، وتطبيقاً، ويعتبر كذلك من أهم المفكرين، واللسانيين في القرن العشرين، ومن أهم رواد التحليل البنيوي في ميادين: "اللغة"، و"الشعر"، و"الفن".

### "رومان جاكبسون" <sup>1</sup> "Roman Jakobson"

"رومان أوسيبوفيتش جاكبسون" بالروسية: "Роман Осипович Якобсон"، هو عالم لغوي، وناقد أدبي روسي ولد "بموسكو" "Moscou" "بروسيا" في 11 أكتوبر 1896م، لعائلة ميسورة من أصل يهودي، والده هو "أوزيب جاكبسون" "Osip Jakobson"، وأمه "أنا فولبيرت جاكبسون" "Anna Volpert Jakobson"، نمت "لجاكبسون" اهتمامات باللغة منذ الصغر، وقد كان في مرحلة الدراسة أحد البارزين في الدائرة اللغوية في موسكو، وقد شارك في أنشطة "جماعة الطلائع في الفن والشعر".

كانت الحالة اللغوية في ذلك الوقت منصبية على منهج النحويين الجدد الذين كانوا يؤكدون على أن الدراسة العلمية الوحيدة الممكنة للغة تتمثل في دراسة تاريخها، وتطور مفرداتها خلال الزمن - وهو المنهج التاريخي الذي وضعه سوسير -، إلا أن "جاكبسون" كان قد اطلع في تلك الفترة على أعمال اللغوي المشهور حينها "فيرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure"، ونجح في تطوير منهج ركز فيه على أن بنية اللغة هي التي تؤدي وظيفتها الأساسية، وذلك من أجل تناقل المعلومات بين مستخدمي اللغة.

وقد كان العام 1920 م عاماً شهد تقلبات سياسية عارمة في روسيا، فانتقل "جاكبسون" إلى "براغ" "Prague" - عاصمة "جمهورية التشيك" "République tchèque" - كعضو في البعثة الدبلوماسية السوفيتية لإتمام دارسته العليا، وقد انغمس في الحياة الأكاديمية والثقافية في "تشيكوسلوفاكيا" حينها وأقام علاقات وثيقة مع عدد من الشعراء، والشخصيات الأدبية فيها، وقد كان له أثر يذكر على الأكاديميين في "التشيك" من خلال دراساته التي كان يجريها على "النصوص التشيكية"، وقد تكلفت جهوده بإنشاء "مدرسة براغ اللغوية" "Ecole linguistique de Prague" حيث أسسها مع زميله "نيكولاي تروبيتسكوي" "Nikolay Trubetskoy"، بالإضافة إلى "رينيه فيليك" "Rene Felix"، و"يان موكاروفسكي" "Jan Mukarovsky"، وقد ساعدت أعماله العديدة في "مجلة الصوتيات" على المضي قدماً في القضايا المتعلقة بالبنية، والوظيفة اللغوية، واعتمدت نظريته العالمية في "الصوتيات البنيوية الوظيفية"

<sup>1</sup> من بين الكتب التي تحدثت عن سيرة "رومان جاكبسون":

Henry Kučera, Roman Jakobson, Language, vol. 59, no 4, décembre 1983, p 871-883.

Tzvetan Todorov, roman jakobson, reponses, revue poétique, N 57, le seuil, paris, France, 1984, p 25.

أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 145 وما بعدها، وينظر: صلاح فضل، في النقد الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م، ص 48، وينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1413 هج، 1993 م، ص 15 وما بعدها، وينظر: رومان جاكبسون وإيجنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلايون الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدنين، الرباط، المملكة المغربية، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م، ص 07.

على تسلسل درجات التمييز للسمات المميزة، وقد كان ذلك أول مستوى ناجح للتحليل اللغوي وفق الفرضيات التي طرحها "سوسير".

ترك "جاكسون" "براغ" عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث انتقل إلى "إسكندنافيا" "*Scandinavie*"، حيث كان مرتبطاً مع الحركة اللغوية في "كوبنهاغن" "*Copenhagen*" - عاصمة الدنمارك "*Danemark*" -، وقد كانت تربطه علاقة مع بعض المفكرين مثل "لويس هيلمسيلف" "*Luis Hjelmslev*".

ومع التطورات التي حصلت في الحرب العالمية الثانية، والتقدم نحو الغرب انتقل "جاكسون" إلى مدينة "نيويورك" "*New York*" حيث أصبح جزءاً من حلقة أوسع من المهاجرين من المفكرين والمثقفين الذين انتقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كما قد كان مرتبطاً عن كثب مع مجتمع المهاجرين من "التشيك" خلال تلك الفترة، وقد تمكن من الاجتماع بالعديد من اللغويين وعلماء الإنسان - "الأنثروبولوجيا" "*Anthropology*" - الأمريكيين مثل "فرانز بواس" "*Franz Boas*"، و"ليونارد بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*"، وأصبح "جاكسون" مستشاراً في الجمعية الدولية للغة العالمية في "الولايات المتحدة الأمريكية"، وانتقل "جاكسون" عام 1949 م إلى "جامعة هارفارد" "*Université Harvard*" حيث بقي هنالك حتى تقاعده، وقد عمل في العقد الأخير من عمره في معهد "ماسوشوستس للتكنولوجيا" "*Massachusetts Institut de Technologie*"، حيث حصل على الدكتوراه الفخرية فيها، وقد تحول "جاكسون" في الستينيات إلى التركيز على تقديم نظرة أشمل للغة وبدأ جهوده للكتابة حول علوم التواصل بشكل عام، مما جعله من أهم رواد "المدرسة الشكلية الروسية"، وأحد أهم علماء اللغة في القرن العشرين وذلك لجهوده الرائدة في تطوير التحليل التركيبي للغة، والشعر، والفن.

ويعد "رومان جاكسون" من حيث دراسته لوظيفة الكلام مؤسساً فعلياً "للفونولوجيا" "*phonologie*" أو "علم الصوتيات" "*Phonétique*"<sup>1</sup>، وإليه تنسب أول صياغة لتعريف الفونيم "*Phonème*" أو الوحدة الصوتية الأصغر، أسس أيضاً في "الولايات المتحدة" للمرحلة التالية من تطور هذا العلم ووضع مبادئه، كما بحث في نظرية تواصل لسانية معتمداً على أسس "نظرية التواصل" "*théorie des communications*"، وبحث أيضاً في الشعر، والدراسات السلافية - المتعلقة بلغات وثقافات أوروبا الوسطى، وأوروبا الشرقية، ودول البلقان -، والتقاليد، والعادات مؤكداً بذلك علاقة اللغة الوثيقة بالثقافة، والأنثروبولوجيا الثقافية.

وقد أثر "رومان جاكسون" بأفكاره هذه في كل من "كلود ليفي ستروس" "*Claude Lévi-Strauss*"، و"رولان بارت" "*Roland Barthes*"، و"جوزيف غرينبيرغ" "*Joseph Greenberg*"، و"جاك لاكان" "*Jacques Lacan*"، و"بول ريكور" "*Paul Ricœur*".

توفي "جاكسون" في ولاية بوسطن الأمريكية "*Boston*" عن عمر ناهز 85 سنة وذلك يوم 18 جويلية 1982 م.

<sup>1</sup> ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م، ص 255.

من خلال هذا التعريف تقسم المسيرة العلمية "لرومان جاكبسون" إلى ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة "حلقة موسكو"، اللسانية "1915-1920 م" التي اندمجت في "الأبوياز" أو "جماعة دراسة اللغة الشعرية" "OPOÏAZ (Société pour l'étude de la langue poétique)"، ومرحلة "حلقة براغ" "بتشيكوسلوفاكيا" "1920-1930 م"، ومرحلة التدريس "بالولايات المتحدة الأمريكية" في جامعتي "هارفارد" و"معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا"، وفي هذه الفترة بالذات، انشغل باللسانيات العامة، وتدريس اللغات والآداب السلافية.

وقد قال عنه الباحث الأمريكي "ديفيد كارتر" "David Carter" صاحب كتاب "النظرية الأدبية": كان "رومان جاكبسون" جسراً بين "الشكلانية الروسية" و"البنوية"، وقد كان عضواً مؤسساً لدائرة موسكو اللغوية، حيث تكشف جميع كتاباته عن مركزية النظرية اللغوية في فكره، وخاصة تأثير "سوسير"، كما كان أحد المؤيدين المتحمسين للشعراء التجريبيين في عام 1920 م<sup>1</sup>.

هذا، وقد خلف لنا "رومان جاكبسون" مجموعة من الدراسات والكتب القيمة، مثل: "الشعر الروسي الحديث" 1921م، و"حول الشعر التشيكي" 1923م، و"أبحاث في اللسانيات العامة" 1963م، و"ثمانية أسئلة حول الشعرية" 1977م...

وقد كان "جاكبسون" عالماً موسوعياً في توجهه، وتشبي أسماء مؤلفاته بتنوع اهتماماته، ومجالات بحثه؛ فقد كتب في موضوعات شتى، وبلغات مختلفة<sup>2</sup>.

كتب بالفرنسية "ملاحظات حول التطور الفونولوجي للغة الروسية مقارنة مع تطور اللغات السلافية الأخرى"

*Remarques sur*

*l'évolution phonologique du russe comparée à celles des autres langues slaves* عام 1929 م.

وكتب بالروسية "خصائص علاقة القرابة اللغوية الأوراسية" "Kharakteristichke yevrazi-yskogo yazykovogo soyuza" عام 1931 م، وكتب بالألمانية "لغة الأطفال" "Kindersprache" عام 1941 م، و"عيوب النطق والقوانين الصوتية العامة" "Aphasie und allgemeine Lautgesetze" عام 1941 م، وبعد استقراره في الولايات المتحدة كتب بالإنجليزية "خطوات تمهيدية نحو تحليل الكلام" "Preliminaries of Language Analysis" عام 1952 م بالتعاون مع "موريس هولّه" "Morris Halle"، كما وضع معه "أسس اللغة" "Language Fundamentals" عام 1956 م، وأيضاً "شعر النحو ونحو الشعر" "Poetry of Grammar and Grammar of Poetry" عام 1968 م، وبالتعاون مع "ليندا ووه" "Linda Waugh" شكل صوت اللغة "The Sound Shape of Language" عام 1979 م.

<sup>1</sup> دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة باسل المسلمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط 01، 2010 م، ص 37.

<sup>2</sup> ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، ص 22 وما بعدها.

## التعريف "بحلقة موسكو"

غالبا، ما توسم "حلقة موسكو اللغوية" "Cercle Linguistique de Moscou" "بالشكلائية" "Formalisme"، أو "بالمدرسة الشكلائية الروسية" "Le Formalisme russe"، لكن يمكن أن نضيف إليها "مدرسة تارتو السيميائية الثقافية" "l'école de la sémiotique culturelle Moscou-Tartu" "بموسكو" "بروسيا"، و"تارتو" "بإستونيا" "Estonie"، و"حلقة براغ اللغوية" "Cercle Linguistique de Prague".  
وعليه، فقد ظهرت "حلقة موسكو" ما بين 1915 م، و 1930 م، في سياق تاريخي ينبذ الرأسمالية، ولا يعترف إلا بالاشتراكية العلمية التي تعود، في جذورها، إلى كتابات "كارل ماركس" "Karl Marx"، و"جورجي بيليخانوف" "Gueorgui Plekhanov"، و"فريدريك هيجل" "Georg Wilhelm Friedrich Hegel"، و"فريدريك أنجلز" "Friedrich Engels"، و"جورج لوكاش" "Georg Lukács"، وغيرهم من المنظرين الجدليين، مع السعي الجاد نحو ربط المضمون الأدبي بالواقع الثوري، والعملية، والمادي، ومحاربة جميع التيارات الشكلائية والنزعات البنيوية التي تعنى بالشكل على حساب المضمون<sup>1</sup>.

ومن ثم، فقد حوربت أفكار "حلقة موسكو" أمدا طويلا<sup>2</sup>، بعد أن تعاضم الدور الاشتراكي، واليساري للأدب، ولم يتحقق النجاح لهذه الشكلائية إلا بعد اطلاع الأوروبيين عليها، سيما الفرنسيين منهم سنة 1960 م، عبر الترجمة، والصحافة، والاحتكاك الثقافي، والتمثل العملي، فطوروا تصوراتها النظرية، والتطبيقية، وانطلقوا من مبادئها الفكرية، واستخدموا مفاهيمها الإجرائية، خاصة في مجال "اللسانيات"، و"السيميائيات"، و"نقد الأدب".

كما يتبين ذلك واضحا عند كثير من الدارسين الأوروبيين، نذكر منهم: "رولان بارت" "Roland Barthes"، و"كلود ليفي شتروس" "Claude Lévi-Strauss"، و"كلود بريمون" "Claude Bremond"، و"جيرار جنيت" "Gérard Genette"، و"جوليان غريماس" "Algirdas Julien Greimas"، و"فيليب هامون" "Philippe Hamon"، و"أمبرطو إيكو" "Umberto Eco"، و"جان مولينو" "Jean Molino"، و"تزييفان تودوروف" "Tzvetan Todorov"، و"جوليا كريستيفا" "Julia Kristeva"، و"جان كوهين" "Jean Cohen"، و"فرانسوا راستي" "François Rastier"، علاوة على اللسانيين، أمثال: "أندريه مارتينييه" "André Martinet"، و"لويس هلمسليف" "Louis Hjelmslev"، و"نعوم شومسكي" "Noam Chomsky"، و"جيرولد كاتز" "Jerry Fodor"، و"جيرري فودور" "Jerry Fodor" ... وغيرهم...<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ينظر: جميل حمداوي، الشكلائية الروسية في الأدب والنقد والفن، افريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016 م، ص 06.

<sup>2</sup> ينظر: رومان جاكبسون وإينخبوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلائيون الروس، ص 09.

<sup>3</sup> ينظر: رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م، ص 78.

ومن باب العلم، يمكن الحديث عن مدارس أساسية ضمن التيار الشكلاني الروسي هي: "حلقة موسكو" التي يمثلها "رومان جاكبسون" "Roman Jakobson"، و"حلقة بيتربورج" "Cercle Linguistique de Saint-Petersbourg" أو "جماعة دراسة اللغة الشعرية" "أبواز" "OPOÏAZ (Société pour l'étude de la langue poétique)" التي يقودها "فيكتور شلوفسكي" "Victor Borissovitch Chklovski"، و"مدرسة تارتو السيميائية"، و"حلقة براغ اللسانية" التي تمثلت الفكر الشكلاني<sup>1</sup>.

### نشأة "المدرسة الروسية" أو "الشكلانية الروسية":

تعتبر "الشكلانية الروسية" الممهد الفعلي للدراسات السيميوطيقية في غرب أوروبا، سيما في "فرنسا"، واسمها الحقيقي "جماعة أبواز" "OPOÏAZ" أو "جماعة دراسة اللغة الشعرية"<sup>2</sup>، وقد ظهرت هذه الجماعة كرد فعل على انتشار "الدراسات الماركسية" في روسيا، خاصة في مجال الأدب والفن، وقد أصدرت مجلة تسمى بـ"الشعرية"، بمساعدة من مؤسسة الدولة لتاريخ الفنون، وقد نشطت المدرسة في العقد الأولين من القرن العشرين، لتعرف اضمحلالا في أواخر سنوات الثلاثين من القرن نفسه، لقد تحامل على هذه الجماعة كثير من الخصوم، فاتهموها بالجرمة الشكلانية، كما فعل "ليون تروتسكي" "Léon Trotski" في كتابه "الأدب والثورة" "Literature and Revolution"، حيث قال سنة 1924 م: "إذا ما تركنا جانبا الأصدقاء الضعيفة التي خلفتها أنظمة إيديولوجية سابقة على الثورة، نجد أن النظرية الوحيدة التي اعترضت الماركسية في روسيا السوفياتية، خلال السنوات الأخيرة، هي النظرية الشكلانية في الفن"<sup>3</sup>.

ولعل من أعداء، ومعارض "الشكلانية الروسية" "ماكسيم كوركي" "Maxime Gorki"، و"أونتونيلى لوناتشارسكي" "Anatoli Lounatcharski" الذي وصف الشكلانية في سنة 1930 م بأنها "تخريب إجرامي ذو طبيعة إيديولوجية"<sup>4</sup>، ومن ثم، فقد كانت سنة 1930 م نهاية أكيدة للشكلانيين الروس، حتى إن أحد السوسولوجيين الروس أراد تطعيم "المنهج الشكلي" "بالتحليل الاجتماعي الماركسي"، كما هو الشأن بالنسبة "لبوريس أرفاتوف" "Boris Arvatov"، بيد أن إشعاعها انتقل إلى عاصمة "تشيكوسلوفاكيا" "براغ"، حيث "رومان جاكبسون" الذي أنشأ "حلقة براغ اللسانية" مع "تروبتسكوي"، والتي تولدت عنها "اللسانيات البنيوية"، و"المدرسة اللغوية الوظيفية"، وبقي الإرث الشكلاني الروسي طي النسيان مدة طويلة، إلى أن ظهرت مدرسة بنيوية سيميائية أدبية، وثقافية جديدة، تسمى "مدرسة تارتو السيميائية الثقافية" "l'école de la sémiotique culturelle Moscou-Tartu" "بموسكو" "بروسيا"، و"تارتو" "إيستونيا" "Estonie".

<sup>1</sup> ينظر: سيزا قاسم، السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد "مدخل إلى السيميوطيقا"، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014 م، ج 01، ص 40.

<sup>2</sup> صلاح فاضل، نظرية البناء في النقد، منشورات الأفق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1985 م، ص 56.

<sup>3</sup> رومان جاكبسون وإيجنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ص 09.

<sup>4</sup> نفسه، ص 09.

ولقد ارتكزت الشكلائية على مبدأين أساسيين هما<sup>1</sup>:

- 1- موضوع الأدب هو الأدبية؛ أي: التركيز على الخصائص الجوهرية لكل جنس أدبي لوحده.
  - 2- دراسة الشكل قصد فهم المضمون؛ أي: شكلنة المضمون، ورفض ثنائية الشكل، والمضمون المتبدلة.
- ولقد قطعت "الشكلائية الروسية" مراحل عدة في البحث الأدبي واللساني، ففي المرحلة الأولى، كان الاهتمام ينصب على التمييز بين الشعر والنثر، في حين، كانت البحوث، في المرحلة الثانية، تتعلق بوصف تطور الأجناس الأدبية<sup>2</sup>، ومن ثم، فقد نشرت كثير من الدراسات الشكلائية، وترجمت في مجلات غربية هامة، مثل: "مجلة الشعرية"، و"مجلة التحول".

وإذا انتقلنا إلى مرتكزات الشكلائية الروسية لفحص دعائمها النظرية والتطبيقية، فيمكن حصرها في النقاط التالية:

- 1- الاهتمام بخصوصيات الأدب، والأنواع الأدبية؛ أي: البحث عن الأدبية، وما يجعل الأدب أدبا.
- 2- التركيز على شكل المضامين الأدبية، والفنية، ودراستها في ضوء مقارنة شكلائية.
- 3- استقلالية الأدب عن الإفرازات، والحيثيات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والتاريخية "دراسة الأدب باعتباره بنية مستقلة عن المرجع".
- 4- التوفيق بين آراء "شارل بيرس" "Charles Sanders Peirce"، و"سوسير" "Ferdinand de Saussure" حول العلامة.
- 5- استعمال مصطلح "السيميوطيقا" "Sémiotique"، بدل من توظيف مصطلح "السيميولوجيا" "Sémiologie".
- 6- الاهتمام "بالسيميوطيقا الإستمولوجية"، والتركيز على الأشكال الثقافية.
- 7- التشديد على خاصية "الاختلاف"، و"الانزياح" بين الشعر، والنثر.
- 8- الإيمان باستهلاك الأنظمة، وتجدها، وتطورها باستمرار من تلقاء ذاتها.
- 9- عدم الاكتفاء بالأعمال القيمة، والمشهورة في مجال الأدب أثناء التطبيق النصي والنظري، بل توجهت "الشكلائية الروسية" إلى جميع الأجناس الأدبية، مهما كانت قيمتها الدنيا، مثل: "أدب المذكرات"، و"أدب المراسلات"، و"الحكايات العجيبة"... قصد معرفة مدى مساهمتها في إثراء الأعمال العظيمة، كما فعل "ميخائيل باختين" "Mikhaïl Bakhtine" مع الأجناس الشعبية الدنيا في كتابه "شعرية دوستوفسكي" "la poétique de Dostoievski"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1986 م، ص 50.

<sup>2</sup> دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ص 30.

<sup>3</sup> ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكي، ص 52.

ومن أهم مؤلفات الشكلانيين الروس: "كيف صيغ معطف غوغول" "لبوريس إيخانبوم" "Boris Eichenbaum"، و"شعرية دويستفسكي"، و"الماركسية والفلسفة" "لميخائيل باختين" "Mikhaïl Bakhtine"، و"الشعر ذاته" "ليوري تينيانوف" "Yury Tynyanov"، و"الحكايات الروسية العجيبة" "لفلاديمير بروب" "Vladimir Propp"، و"سيمياء الكون" و"بنية النص الفني" "ليوري لوتمان" "Yuri Mijáilovich Lotman"، و"نظرية النثر" "لفيكتور شلوفسكي" "Victor Chklovski"، وغيرها من المصنفات.

### الجهود اللسانية "لرومان جاكسون":

لقد أسس "رومان جاكسون"، بتنسيق مع "نيكولاي تروبتسكوي" "Nikolai Troubetzkoï"، و"فيلام ماتيسوس" "Vilem Mathesius"، و"أندريه مارتينييه" "André Martinet"، و"وليام لابوف" "William Labov"، اتجاهها لسانيا يعرف "بالاتجاه البنيوي الوظيفي"، ويعرف "رومان جاكسون" باهتمامه "بالشعرية" من جهة، و"بالنحو الكلي" من جهة ثانية، فعلى مستوى "الشعرية" مثلا، فقد ربط اللغة بستة عناصر هي: "المرسل" "èmetteur"، و"المرسل إليه" "rècepteur"، و"الرسالة" "message"، و"المرجع" "référence"، و"القناة" "canal"، و"السنن" "code" <sup>1</sup>، وحدد لكل عنصر وظيفة معينة، وبالتالي، فقد تحدث عن أدبية الأدب، والقيمة المهيمنة في تصنيف الأجناس والأنواع الأدبية، كما تحدث عن تطور الأنساق الأدبية الشكلية، وتعمق في دراسة الشعر في ضوء عناصره البنيوية، سواء أكانت "صوتية"، أم "صرفية"، أم "إيقاعية"، أم "تركيبية"، أم "دلالية"، أم "بلاغية"، ضمن المحورين "الاستبدالي" و"التركيبي" <sup>2</sup>.

ومن الناحية اللسانية، فقد أرسى "رومان جاكسون" نحوا كليا في مجال "الفونولوجيا"، بمعنى أن جميع اللغات يمكن تحليلها انطلاقا من مقاييس موحدة "معيارية"، وهذه النظرية التي طبقها "جاكسون" في "الفونولوجيا"، والتي سيطبقها "تشومسكي" فيما بعد على التركيب، أتاحت له إبداع نظرية أخرى تعرف "بنظرية السمات المميزة" "La théorie des traits distinctifs"، وكان له بذلك دور حاسم في إعادة توجيه مجرى اللسانيات في "الولايات المتحدة"، فقد ظل الوصفيون الأمريكيون، قبل مجيء "جاكسون"، يشتغلون ضمن فلسفة النسبية، إذ طالما اعتقدوا أن اللغات قد تختلف بعضها عن بعض إلى مالا نهاية، قد كانوا يعتقدون أن لكل لغة هيكلها الذي يميزها عن غيرها.

أما "جاكسون"، فكان يؤمن أن اللغات قد تختلف فيما بينها فعلا، ولكن ضمن حدود معينة، بحيث تجمعها خواص هي ما أطلق عليه "النحو الكلي"، فقد تتحدث لغات مختلفة، بل قد نستعمل في كلامنا أصواتا متنوعة، مثل: "الحاء" التي توجد في بعض اللغات، وتفقدتها لغات أخرى، لكن نجد السمات ذاتها فيها جميعا، مثل: "حلقى"،

<sup>1</sup> ينظر: رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص 27، وطارح بومزير، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية جاكسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م، ص 23.

<sup>2</sup> ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، المكتبة الثقافية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1993 م، ص 49.

و"رخو"، و"شديد"...؛ إذًا، تختلف اللغات حقا، غير أنها في هذه الحالة بمثابة يد واحدة تتفرع إلى أصابع، وتلك هي فرضية "النحو الكلي" <sup>1</sup>.

وإذا كان "البنويون التوزيعيون الأمريكيون" يربطون اللغة بالحضارة التي نشأت فيها، فإن "تشومسكي" يربطها "بالدماغ النفسي"؛ لأن الناس يتفوقون في السمات المميزة للأصوات؛ وهذه الأصوات لها ارتباط بالجهاز الصوتي والنفسي، أما "رومان جاكبسون" يستدل بحجة أخرى على "النحو الكلي"، فعلى عكس البنويين الأمريكيين السابقين "لجاكبسون"، وهم الذين كانوا يربطون كل لغة بحضارتها الخاصة - كما جاء في فرضية "إدوارد ساپير" "Edward Sapir" و"بينجامين وورف" "Benjamin Lee Whorf" -، ويطبعونها بطابع اجتماعي، نجد "جاكبسون" يعتقد غير ذلك؛ فاللغة، بالنسبة له، لها علاقة بالنفس / الدماغ؛ إذ لا يتوقف الأمر عند حقيقة أننا نتشارك في تلك السمات مثل: "شفوي"، و"رخو"... التي تبين وجود تشابه في النطق مخرجا وصفة، بل يتعداه لإثبات غاية أهم من ذلك، لقد أراد "جاكبسون" أن يوضح ما وراء المجرى الصوتي إلى حيث الدماغ، فالصفات المميزة - المقدرة ببضعة عشرة - لها حقيقة نفسية، وهي متماثلة عند بني الإنسان جميعهم.

إن الدماغ البشري هو ذاته بالنسبة لجميع البشر، ولهذا الحقيقة دلالات تتعلق "بلغة الطفل"؛ فإذا أخذنا طفلا "جزائريا" إلى "الصين"، فإنه يكتسب الصينية دون أدنى صعوبة في بضع سنوات، شرط ألا يتجاوز عمره ما يعرف في اللسانيات "بمرحلة الليونة"، تماما كما لو فعلنا ذلك بطفل "جزائري" آخر، وذهبنا به إلى "إنجلترا"، فإنه يكتسب اللغة الإنجليزية "كأنها لغته الأم" <sup>2</sup>.

هذا، وقد أوجد "جاكبسون" مجموعة من السمات المميزة والأوصاف المحددة "للفونيمات" "Les phonèmes"، بغية التمييز بينها صوتيا، ودلاليا، ومن قبل، كان اللسانيون يشتغلون على "الفونيم" ضمن اللغة المجردة، في حين، انصب اهتمام "جاكبسون" على المميز، بمعنى إذا كان "الفونيم" هو أصغر وحدة لسانية عند اللسانيين، فإن "جاكبسون" يقسم هذا "الفونيم" إلى أصغر من ذلك؛ أي: إلى مجموعة من السمات، والقيم الخلافية، هذا، وقد وضع "جاكبسون" نظاما من اثنتي عشرة خاصية صوتية، وتنظيمية تطبق على الصوامت "consonnes" والصوائت "voyelles"، إن تلفظا، وإن سمعا، حيث ميز بين مجموعة من السمات المميزة، مثل: "صامت/ صائت"، و"مجهور/ مهموس"، و"نهائي / لانهائي"، و"انفجاري/ غير انفجاري"، و"هادئ/ حاد"، و"ممتد/ باهت"....

وفي العربية، يمكن الحديث عن مجموعة من السمات المميزة: "صائت"، و"صامت"، و"مهموس"، و"مجهور"، و"شديد"، و"رخو"، و"مائع"، و"تكراري"، و"شفوي"، و"الثوي"، و"غاري"، و"طبق"، و"حلق"، و"حنجري"، و"لهوي"...

وعلى العموم، فقد كانت جهود "رومان جاكبسون" اللسانية متميزة وواضحة بشكل كبير، فقد ترك تأثيرا ملحوظا في لسانيات القرن العشرين، خاصة في مجال "الفونولوجيا"، ويمكن حصر اهتماماته اللسانية الأخرى في "دراسة

<sup>1</sup> ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، ص 56.

<sup>2</sup> نفسه، ص 57.

الأفازيا" - الحبسة "Orthophonie" -<sup>1</sup>، والعناية بالتصنيف اللساني، والاهتمام بالسمات المميزة للأصوات، والفونيمات...

### التصور المنهجي عند "رومان جاكبسون":

يعد "رومان جاكبسون" من "الشكلانيين" "Formalisme" الأوائل الذين أرسوا دعائم "علم الأدب"، أو ساهموا في تطوير نظرية الأدب على أسس علمية، وموضوعية، من خلال حصر موضوع علم الأدب في دراسة الأدبية "La littérarité"، ويعني هذا أن "علم الأدب"، أو "الشعرية"، أو "البويطيقا"، أو "الإنشائية" "Poétique" يدرس ما يجعل من الأدب أدبا؛ أي: التركيز على وظيفة الأدب التي تتأسس على "الوظيفة الجمالية"، أو "الشعرية"، من خلال إسقاط "العلاقات أو المحور الاستبدالي" "Relations Paradigmatiques"، على "العلاقات أو المحور التركيبي" "Relations Syntagmatiques"، أو الجمع بين الانتقاء الدلالي، والعلاقات النحوية، ويعني هذا أيضا أن الأدب يتكون من مواد دلالية، وعلاقات نحوية، وتركيبية، أو الجمع بين الدلالة والنحو ضمن علاقات الغياب "الدلالة" من جهة، أو علاقات الحضور "التركيب" من جهة أخرى.

ومن هنا، يتبنى "رومان جاكبسون" منهجا علميا وصفيا في دراسة الأنواع، والأجناس الأدبية، من خلال التعامل مع الأثر الأدبي على أنه مادة، وبناء، وشكل، وقيمة مهيمنة، وبذلك، فقد تمثل المقاربة "البنوية الشكلانية" "Formalisme structurel" في دراسة النصوص الأدبية، بتفكيكها، وتركيبها، اعتمادا على المستويات اللسانية: "الصوتية"، و"التركيبية"، و"الدلالية"، و"البلاغية"، ومن ثم فقد كان "رومان جاكبسون" أول من طبق "المنهج البنوي اللساني" على "الشعر"، حينما حلل مع "كلود ليفي شتراوس" "قصيدة الققط" "Les Chats" "لشارل بودلير" "Charles Baudelaire" سنة 1962 م<sup>2</sup>، وقد درسها الاثنان معا دراسة داخلية مغلقة، في إطار نسق كلي من الشبكات البنوية المتفاعلة، بغية البحث عن الدلالة المبنية، وقد انصب هذا العمل التشرحي على مقارنة القصيدة تفكيكا، وتركيبا، بالاعتماد على "اللسانيات البنوية" "Linguistique structurale"، مع استقراء المعطيات الصوتية، والصرفية، والإيقاعية، والتركيبية، والبلاغية.

كما تمثل "رومان جاكبسون" منهجية تواصلية وظيفية في دراسة اللغة ونظامها التواصلية، ودراسة الفونيمات اللغوية باستقراء سماتها المميزة، في إطار نحو كلي كوني على غرار النحو الكلي "لنعم شومسكي" "Noam Chomsky" في مجال التركيب، وعلى العموم، فقد كان "رومان جاكبسون" أول من أرسى دعائم البويطيقا، أو الشعرية "Poétique" على أسس بنوية، ولسانية، وشكلانية موضوعية، وميز بين الأجناس الأدبية وفق نظرية القيمة المهيمنة.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك إلى كتاب:

R. Jakobson, Deux aspects du langage et deux types d'aphasie, in R. Jakobson, Essais de linguistique generale,

<sup>2</sup> C. Levi-Strauss et R. Jakobson, Les Chats de Charles Baudelaire, L'Homme, revue française d'anthropologie, n° 1, 1962, pp 5 / 21.

## اللغة ونظامها التواصلي عند "رومان جاكسون":

يستند التواصل اللساني عند "رومان جاكسون" إلى ستة عناصر أساسية<sup>1</sup>، وهي: "المرسل" "àmetteur"، و"المرسل إليه" "rècepteur"، و"الرسالة" "message"، و"المرجع" "référence"، و"القناة" "canal"، و"السنن" "code"، وللتوضيح أكثر، نقول: يرسل "المرسل" "رسالة" إلى "المرسل إليه"، حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعاً، أو مرجعاً معيناً، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهما كل من "المرسل" و"المتلقي"، ولكل رسالة "قناة حافظة"، كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف، واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي...، ويعني هذا أن اللغة ذات بعد لساني وظيفي، وأن لها ستة عناصر، وست وظائف: "المرسل": ووظيفته **تعبيرية وانفعالية**، و"المرسل إليه": ووظيفته **تأثيرية وانتباهية**، و"الرسالة": ووظيفتها **جمالية**، و"المرجع": ووظيفته **مرجعية**، و"القناة": ووظيفتها **حفاظية**، و"السنن" أو "اللغة": ووظيفتها **وصفية وتفسيرية**، وقد انطلق "جاكسون" من مسلمة جوهرية، وهي أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، وارتأى أن للغة ستة عناصر أساسية، ولكل عنصر وظيفة ما.

وقد تأثر "جاكسون"، في هذه العملية التواصلية، بأعمال "دي سوسير"، والفيلسوف المنطقي اللغوي

"جون أوستين" "John Langshaw Austin"<sup>2</sup>.

وعليه، فكثير من النصوص، والخطابات، والصور، والمكالمات الهاتفية عبارة عن رسائل يرسلها "المرسل" إلى "المرسل إليه"، حيث يحول المتكلم رسالته إلى نسيج من الانفعالات، والمشاعر، والأحاسيس الذاتية، ويستخدم في ذلك ضمير المتكلم، ومن ثم، يتخذ المرسل بعداً ذاتياً قوامه التعبيرية الانفعالية، بمعنى أن "الوظيفة الانفعالية التعبيرية" هي التي تحدد العلاقات الموجودة بين "المرسل" و"الرسالة"، وتحمل هذه الوظيفة، في طياتها، انفعالات ذاتية، وتتضمن قيماً، ومواقف عاطفية، ومشاعر، وإحساسات، يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي.

أما "المرسل إليه"، فهو المخاطب الذي توجه إليه رسائل المتكلم بضمير المخاطب، بغية إقناعه، أو التأثير عليه، أو إثارة انتباهه سلبياً، أو إيجاباً، ومن هنا، فإن "الوظيفة التأثيرية" هي التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين "المرسل" و"المتلقي"، حيث يتم تحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية بامتياز، ما دامت قائمة على الإقناع والتأثير؛ إذاً، يتحول الخطاب اللفظي، أو غير اللفظي إلى "رسالة"، وهذه "الرسالة" يتبادلها "المرسل" و"المرسل إليه"، فيساهمان في تحقيق التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة، وتتجسد هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية، أو الجمالية بإسقاط المحور الاستبدالي على المحور التركيبي، أو إسقاط محور الدلالة والمعجم على محور التركيب، والنحو انزياحاً، أو معياراً، ويعني هذا أن "الوظيفة

<sup>1</sup> ينظر في ذلك إلى كتاب:

R. Jakobson, *Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale, Les Éditions de Minuit, Paris, France, 1963, P 55*

<sup>2</sup> جميل حمدوي، الشكلائية الروسية في الأدب والنقد والفن، ص 55.

الجمالية"، أو "الشعرية" هي التي تحدد العلاقات الموجودة بين الرسالة، وذاتها، وتحقق هذه الوظيفة أثناء إسقاط المحور الاستبدالي على المحور التركيبي، وكذلك عندما يتحقق الانتهاك، والانزياح المقصود بشكل من الأشكال.

كما تهدف "الرسالة"، عبر وسيط "القناة"، إلى الحفاظ على التكلم، وعدم انقطاعه مثلا عند إجرائنا لمكاملة هاتفية نحاول لفت الانتباه، والحفاظ على التكلم فتجدنا نكرر مثلا: "آلو...آلو...هل تسمعي جيدا؟..."; أي: تهدف "وظيفة القناة" إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبداع، وتثبيته، أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث، والكلام المتبادل بين الطرفين، وللغة كذلك "وظيفة مرجعية"، تركز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعا، وواقعا، وسياقا أساسيا، تعبر عنه تلك الرسالة، وهذه الوظيفة في الحقيقة موضوعية، لا وجود للذاتية فيها، نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر.

وثمة وظيفة أخرى مرتبطة باللغة، وتسمى "بالوظيفة الوصفية"، أو "الوظيفة الميتالغوية" " *Fonction métalinguistique* القائمة على الشرح، والوصف، والتفسير، والتأويل، وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية، بعد تسنينها من قبل "المرسل"، والهدف من "السنن" هو وصف الرسالة لغويا، وتأويلها، وشرحها، وفهمها، مع الاستعانة بالمعجم، أو القواعد اللغوية، والنحوية المشتركة بين "المتكلم"، و"المرسل إليه".

### القيمة المهيمنة في نظر "رومان جاكسون":

يرى "رومان جاكسون" بأن البحث الشكلاني قد مر بثلاث مراحل أساسية: المرحلة الأولى: هي مرحلة تحليل الخصائص الصوتية للأثر الأدبي، في حين، اهتمت المرحلة الثانية: بمشاكل الدلالة في إطار نظرية الشعر، وارتكزت المرحلة الثالثة: على إدماج الصوت والمعنى في رحم الكل غير المنقسم، وفي هذه المرحلة بالذات، انتشر مفهوم القيمة المهيمنة " *La valeur dominante* " بشكل إجرائي واسع<sup>1</sup>، ويقصد بهذا المفهوم ذلك العنصر البؤري للأثر الأدبي؛ إنها تحكم، وتحدد وتغير العناصر الأخرى، كما أنها تتضمن تلاحم "البنية"<sup>2</sup>.

بمعنى أن "القيمة المهيمنة" هي التي تحدد الأجناس الأدبية، وتكسب الأثر نوعية، فالخاصية النوعية للغة الشعرية هي، بدهة، خطاطتها العروضية؛ أي: شكلها كشعر، إن هذا القول يمكن أن يظهر كتحصيل حاصل فالشعر هو شعر، ومع ذلك فيجب للحقيقة التالية لا تغيب عن بالنا؛ وهي أن عنصرا لسانيا نوعيا يهيمن على الأثر في مجموعته "كليته"؛ إنه يعمل بشكل قسري، لا راد له، ممارسا بصورة مباشرة تأثيره على العناصر الأخرى، لكن الشعر بدوره، ليس مفهوما بسيطا، وليس وحدة غير منقسمة؛ بل هو، في ذاته، نظام من القيم، وكل نظام قيم، فهو يتوفر على سلمية خاصة لقيمه العليا والدنيا، وبين هذه القيم، قيمة رئيسية، هي المهيمنة، بدورها - في إطار حقبة أدبية معينة، واتجاه في معين - لا يمكن للشعر أن يفهم، أو يحاكم باعتباره شعرا.

والمقصود بهذا أن الشعر قد يتحدد بالوزن، أو بالصورة، أو بالنبر، أو بالتوازي، أو بالترار، أو بخاصية نبوية ما...، وتختلف هذه القيم المهيمنة من حقبة إلى أخرى، وإنه من الممكن بحث وجود مهيمنة ليس فقط في الأثر الأدبي

<sup>1</sup> رومان جاكسون وإينباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيون الروس، ص 81.

<sup>2</sup> نفسه، ص 81.

لفنان مفرد، ولا في الأصل الشعري، أو في مجموع أصول مدرسة شعرية، ولكن، أيضا، في فن حقة معينة، باعتبارها كالا واحدا.

وللمثيل، كانت "الفنون البصرية"، في عصر النهضة، هي المهيمنة، في حين، كانت "الموسيقى" هي المهيمنة في العصر الرومانسي، أما الفن اللفظي، فقد كان مهيمنا في فترة الجمالية الواقعية<sup>1</sup>، ومن باب التوضيح أكثر، فإن نسا ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفا متمازجة؛ إذ قد نعاينها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبية على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال، ومن هنا، تهيمن "الوظيفة الجمالية الشعرية" على "الشعر الغنائي"، في حين، تهيمن "الوظيفة التأثيرية" على الخطبة، وتهيمن "الوظيفة الميتالغوية" على النقد الأدبي، وتغلب "الوظيفة المرجعية" على النصوص التاريخية، وتهيمن "الوظيفة الانفعالية" على النصوص الشعرية الرومانسية، وتغلب "الوظيفة الحفظية" على المكالمات الهاتفية.

وعليه، فقد كان للأبحاث حول القيمة المهيمنة نتائج مهمة في ما يتعلق بالمفهوم الشكلي للتطور الأدبي، ففي تطور شكل إنشائي، لا يتعلق الأمر كليا بزوال بعض العناصر، وانبعث عناصر أخرى بقدر ما يتعلق بانزلاق في العلاقات المتبادلة لمختلف عناصر النظام، فالعناصر التي كانت في الأصل ثانوية، في إطار مجموع معين من القواعد الإنشائية العامة، أو بالأحرى الخاصة في مجموع القواعد الصالحة لنوع إنشائي معين تعدو، على العكس أساسية، وفي المقام الأول، وخلافا لذلك، فالعناصر التي كانت، في الأصل، مهيمنة لا تعود لها سوى أهمية صغرى، فتعدو اختيارية<sup>2</sup>، وعلى العموم، تبقى القيمة المهيمنة معيارا شكليا جوهريا للتمييز بين الأجناس، والأنواع الأدبية، ويستخدم أيضا للتفريق بين الأنساق الشكلية الأدبية، ويستعمل كذلك لتفريد النصوص، وتمييزها عن بعضها البعض.

### تأسيس الشعرية:

لقد ارتبطت "الشعرية" أو ما يسمى أيضا "بالإنشائية"، أو "البويطيقا" "*Poétique*" "برومان جاكسون"<sup>3</sup>، فقد أسسها على أسس وصفية، وعلمية موضوعية، من خلال التركيز على "الأدبية" "*Littérarité*"، و"القيمة المهيمنة"، و"العناصر البنيوية" التي تميز جنسا أدبيا عن الآخر، ومن ثم، فقد كان يقارن بين لغة الشعر ولغة النثر العادية، في ضوء مقارنة بنيوية لسانية، وكان هدفه الأساس هو البحث في أدبية النص استبدالا وتأليفا، وقد ركز كثيرا على دراسة الشعر لسانيا، باحثا عن قواعده وقوانينه من خلال مقارنته بالكلام اليومي، وبالتالي، فقد كان يعنى باستقراء المعطيات النصية "الصوتية"، و"الإيقاعية"، و"النغمية"، و"الصرفية"، و"التركيبية"، و"البلاغية"، و"الدلالية"، ضمن نسق تفاعلي كلي، تتربط فيه العناصر البنيوية جميعها إن إيجابا وسلبا، وإن تفكيكا وتركيبا، وقد اهتم بالخصوص باللغة الشعرية، وربط

<sup>1</sup> رومان جاكسون وإيخنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلايون الروس، ص 82، 83.

<sup>2</sup> نفسه، ص 84، 85.

<sup>3</sup> ينظر في ذلك إلى كتاب:

الصوت بالدلالة، مع تصنيف المعطيات المبنية في النص الشعري، بغية رصد "الوظيفة الجمالية"، أو "الشعرية" التي تتحقق في النص، ودراسة الدوال اللفظية باعتبارها علامات سيميائية.

ومن جهة أخرى، فقد قد اهتم بالتوازي، أو التعادل حينما تحدث عن "الوظيفة الجمالية" القائمة على إسقاط محور الانتقاء، أو الدلالة على محور التركيب، أو التأليف، ومن ثم، لا يقتصر التوازي على الإيقاع فقط، بل يمتد ليشمل التركيب، والدلالة معاً، وفي هذا الصدد، يقول "جاكسون": "كل مقطع، في الشعر، له علاقة توازن بين المقاطع الأخرى في المتتالية نفسها، وكل نبر لكلمة يفترض فيه أن يكون مساوياً لنبر كلمة أخرى، وكذلك، فإن المقطع غير المنبور يساوي المقطع غير المنبور، والطويل عروضياً يساوي الطويل، والقصير يساوي القصير، وحدود الكلمة تساوي حدود الكلمة، وغياب الحدود يساوي غياب الحدود، وغياب الوقف يساوي غياب الوقف؛ فالمقاطع تحولت إلى وحدات قياس، والشياء نفسه تحولت إليه أجزاء المقاطع وأنواع النبر"<sup>1</sup>.

وأهم مقال فصل فيه "جاكسون" مبدأ التوازي، أو التعادل مقاله المعنون بـ "نحو الشعر وشعر النحو"<sup>2</sup>، بيد أن هذا المبدأ قد انتقده كثير من الباحثين، خاصة "جان كوهين" "Jean Cohen"<sup>3</sup>؛ وذلك لأن التعادل لا يتوافر في الشعر كله، لا يتوافر في القصيدة جميعها، ومن ثمة، فإنه ليس مكوناً من المكونات الشعرية، وإنما يصحح أن يسمى خاصة ثانوية محتملة قد تحضر، وقد تغيب<sup>4</sup>.

كما اهتم "جاكسون"، ضمن تحليله "للوظيفة الجمالية"، أو "الشعرية" بالمحورين: "الاستبدالي"، و"التركيبي"، وعلاقتهما "بالاستعارة"، و"الكنائية"، فقد أثبت بأن الاستعارة شعرية، أما الكناية فهي واقعية، وقد تطورت هذه الفكرة نتيجة البحث في الاضطراب العقلي، وفقدان القدرة على الكلام "الأفازيا"، ففي جملة "عبرت السفينة البحر"، يمكن أن تكون الجملة مجازية، أو استعارية عن طريق اختيار فعل مختلف، على سبيل المثال، بمقارنة حركة السفينة بحركة المحرات "حرثت السفينة البحر"، والكنائية هي استخدام وسيلة سمة شيء ما للإشارة إلى الأمر برمته، فعلى سبيل المثال، يمكن أن يشير العمق للبحر "وعبرت السفينة العمق"، تعتمد الاستعارة على مزيج من الأشياء ليست بالضرورة أن تكون مرتبطة، أو متجاورة، بينما تستخدم الكناية السمات المرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً<sup>5</sup>.

واعتماداً على هذا التمييز، يمكن التفريق بين المدارس، والاتجاهات الأدبية، فالمدرسة الرومانسية استعارية، في حين، تعد المدرسة الواقعية كناية، وفي هذا يقول "جاكسون": "وقد تم الاعتراف بأسبوعية العملية الاستعارية في المدارس الأدبية الرومانسية، والرمزية مراراً وتكراراً، ولكنها لاتزال غير مدركة أن الكناية هي الغالبة، والتي تكمن وراء ما يسمى

<sup>1</sup> R. Jakobson, *Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale*, p 220.

<sup>2</sup> R. Jakobson, *Huit questions de Poetique, Point, Paris, France, 1977*, pp: 88 - 108 .

<sup>3</sup> Jean Cohen, *Le haut Langage, Flammarion, Paris, France, 1979*, p 16.

<sup>4</sup> ينظر: محمد مفتاح، في سيميائية الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1989 م، ص 46.

<sup>5</sup> ينظر: دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ص 38، 39.

"بالاتجاه الواقعي" الذي ينتمي إلى مرحلة وسيطة بين الحدار "الرومانسية"، وصعود "الرمزية"، وتعارض هذه العملية كل منهما على حد سواء<sup>1</sup>.

وعليه، فقد أثرى "رومان جاكسون" "الشعرية" بأجوبة كثيرة، ومقنعة، كان يطرحها النقاد، ودارسو الأدب بإلحاح شديد، مثل: ما الذي يميز الأدب؟، وكيف يمكن تصنيف الأجناس، والأنواع الأدبية؟، وكيف يمكن التمييز بين المدارس، والاتجاهات الأدبية، والفنية؟، وكيف يمكن تحليل الأثر الأدبي تحليلًا بنيويًا لسانيا، وشكلانيا؟!.

### وختلاصة القول

فإن "رومان جاكسون" يعد من أهم الشكلانيين الروس الذين خاضوا في "الشعرية" انطلاقًا من مقارنة بنيوية لسانية، ويعتبر أيضًا من مؤسسي "نظرية الأدب" على أسس علمية موضوعية، من خلال الاسترشاد باللسانيات، والاستفادة من نظرياتها تصورا، وتطبيقًا.

وكذلك، يكفيه فخرا أنه من المؤسسين الفعليين "للشعرية الإنشائية"، ومن اللسانيين الأوائل الذين أرسوا دعائم "النحو الكلي"، خاصة في مجال "الفونولوجيا"، وبالتالي، فهو صاحب "نظرية السمات المميزة" في دراسة "الفونيمات"، ولا ننسى جهوده الجبارة كذلك في مجال "الأفازيا"، ودراسة "الاستعارة"، و"الكناية"، وتصنيف الأجناس، والأنواع الأدبية وفق القيمة المهيمنة.

وأهم ما يمتاز به "رومان جاكسون" أنه قد أرسى لبنات "علم التواصل" وفق الأنظمة اللسانية، على أساس أن اللغة الإنسانية لها وظيفة أساسية تتمثل في التواصل، وبالتالي، فإنها تستند إلى ستة عناصر، وست وظائف أساسية تابعة لها.

### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
2. استيتية سمير شريف، اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج، عالم الكتاب الحديث، عمان، الأردن، ط 02، 2008 م.
3. جميل حمداوي، الشكلانية الروسية في الأدب والنقد والفن، افريقيا الشرق للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2016 م.
4. دافيد كارتر، النظرية الأدبية، ترجمة باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، ط 01، 2010 م.
5. ابن رشد المعتمد ومحمد خريص، مدارس علم اللغات، المكتبة الثقافية، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1993 م.
6. رومان جاكسون وإيجنباوم بوريس وآخرون، نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدنين، الرباط، المملكة المغربية، ومؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م.

<sup>1</sup> نفسه، ص 39.

7. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م.
8. سيزا قاسم، السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد "مدخل إلى السيميوطيقا"، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2014 م.
9. صلاح فاضل، نظرية البناء في النقد، منشورات الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1985 م.
10. صلاح فضل، في النقد الادبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م.
11. طاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م.
12. فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1413 هج، 1993 م.
13. فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة الوالي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 2000 م.
14. محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1989 م.
15. ميخائيل باختين، شعرية دويستفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 01، 1986 م.
16. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م.

## المراجع باللغة الأجنبية:

1. C. Levi-Strauss et R. Jakobson, *Les Chats de Charles Baudelaire, L'Homme, revue française d'anthropologie, n° 1, 1962.*
2. Henry Kučera, *Roman Jakobson, Language, vol. 59, no 4, décembre 1983.*
3. Jean Cohen, *Le haut Langage, Flammarion, Paris, France, 1979.*
4. R. Jakobson, *Linguistique et poetique, Essais de linguistique generale, Les Éditions de Minuit, Paris, France, 1963 .*
5. Tzvetan todorov, *roman jakobson, reponses, revue poétique , N 57, le seuil, paris, France, 1984.*

# المحاضرة الرابعة

مدرسة براغ 1

"مدرسة براغ اللغوية"؛ فمن مفهوم، أو مصطلح "الوظيفة" جاءت تسمية "مدرسة براغ اللغوية"<sup>1</sup>؛ إذ يسعى اللساني في هذه المدرسة إلى الكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب؛ أي: يبحث عن الوحدات التي يمكنها أن تغير المعنى كلما استبدلت بأخرى، فتغير معنى الوحدات اللغوية دليل على أن لها "وظيفة".

فمدرسة "براغ اللغوية" اهتمت بمفهوم "الوظيفة" لا بل نال هذا المفهوم اهتماماً أكثر من غيره، نظراً لأهميته، من كونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشتمل عليه من مستويات نتعرف من خلالها، على مختلف الوظائف التي تضطلع بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة، وبناء عليه فإذا أراد الباحث تحليل المدونة اللسانية تحليلاً وظيفياً، عليه أن يحصي مجموعة الوحدات اللغوية، ثم يرتبها من حيث الشبه والاختلاف - أي: يقابل بينها -، وحينها تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الذاتية؛ أي: "وظيفتها"، ومثال ذلك<sup>2</sup>:

قال	الرجل
سافر	الرجل
ذهب	الرجل

من خلال الملاحظة السريعة لهذه المدونة - على "المستوى الافرادى" - تظهر أن ثمة ثلاث وحدات لسانية مختلفة من حيث البناء، وإن هذا التقابل هو الذي يعكس الفوارق الدلالية بينها، مما يؤكد أن لكل كلمة "وظيفة" داخل التركيب، فالبنية نظام تحولات، والتحويلات لعلاقات لعناصر البنية؛ أي: دخول عنصر في البنية مع عنصر آخر في علاقة متبادلة، أو دخول جملة مع جملة، أو نص مع نص، هذه العلاقة هي ما يمكن أن نطلق عليه تسمية "الوظيفة" "Fonction"؛ فالوظيفة، إذن، هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين مكونات البنية، وفاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يمارسه كل عنصر منها داخل المجموعة التي ينتمي إليها، وليس هناك أية قيمة يمكن لأي عنصر أن يمتلكها بشكل منعزل، وإنما يكتسب مثل هذه القيمة بالعلاقة التي يشكلها مع عنصر آخر، أو مع عناصر أخرى، فيكون الكشف عن هذه العلاقات التي تتواصل من خلالها عناصر البنية هو كشف عن وظائف البنية ذاتها<sup>3</sup>.

إذن، فالتحليل الوظيفي يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأساسه، مع النظر إلى أن كل تركيب، أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة، ومن هنا، لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج في علاقاته، فالنظام هو تنظيم لعلاقات البنية وضبطها، وليس هذا التنظيم سوى علاقات قواعدية محكمة للعناصر المتشكلة والمتفاعلة فيه، والتي هي وظائف ذاتها، تتمكن بالكشف عنها من معرفة طرق الاستخدام اللغوي، وغاياته.

<sup>1</sup> جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هـ، 1997 م، ص 105، وينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000 م، ص 86.

<sup>2</sup> شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م، ص 17.

<sup>3</sup> ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 86.

## حلقة براغ اللغوية

تعد "حلقة براغ اللغوية" *Cercle Linguistique de Prague* "أفضل من يُمثل" الاتجاه الوظيفي " في دراسة اللغة؛ وقد نشأت في أحضان "نادي براغ اللساني" الذي أنشأه العالم التشكي "فيلام ماثيسوس" *Vilem Mathesius* وبعض معاونيه سنة 1926 م<sup>1</sup>، وعُرفت "بالمدرسة الوظيفية" *Fonctionnalisme* "أو "الفونيمية"، وبلغت ذروتها في الثلاثينيات، وتحديدًا عندما انظم إليها سنة 1928 م ثلاثة لسانيين روس وهم: "رومان جاكسون" *Roman Jakobson*، و"سيرجي كارسفسكي" *Sergueï Kartsevski*، و"نيكولاي تروبتسكوي" *Nikolay Trubetskoy*"<sup>2</sup>، ومنذ 1930 م ازداد توسع المدرسة لينظم إليها لفييف من اللسانيين الفرنسيين من أشهرهم، "أندرية مارتينييه" *André Martinet*، و"إميل بنفست" *Émile Benveniste*، وغيرهم من لسانيين أوروبيين، وما زال نفوذها إلى الآن عندما قام لسانيون بعد وفاة "فيلام ماثيسوس" بإحيائها من جديد رسميًا في نوفمبر 1992 م، ومن أبرزهم "بيتر سغال" *Peter Segal*، و"إيفا هاجيكوفا" *Eva Hagicova*"<sup>3</sup>، وواصلت أفكار "مدرسة براغ اللغوية" ازدهارها في أمريكا (نيويورك، هارفاد ... ) ممثلة في أعمال "رومان جاكسون"، زد على ذلك "الدراسات اللسانية" التي ظهرت في "فرنسا" مع مطلع القرن العشرين بإشراف "الجمعية اللسانية الباريسية"، والتي كان من أولويات بحثها:

-الدرس التاريخي من خلال أعمال "أنطوان ماويه" *Antoine Maillé*.

-دراسات صوتية تبحث في الجانب الفسيولوجي السمعي للكلام، من خلال مؤلفات "روسلو"، و"جاستون"، و"باري وفندريس" في كتابه ذابيع الصيت "اللغة".

-العناية بالدراسات التقابلية في ميدان "علم التراكيب" بخاصة بين "الفرنسية" و"الإنجليزية" من خلال أعمال "أنطوان كولولي" *Antoine culioli*، و"هنري آدام زويسكي" *Henry Adams Xueski*"<sup>4</sup>.

ويذكر "بيتر شتينر" *Peter Stienner* "أن تسمية "حلقة براغ اللغوية" *Cercle Linguistique de Prague* وضعت على غرار تسمية "حلقة موسكو اللغوية" *Cercle Linguistique de Moscou* خاصة وأنها تضم في صفوفها عضوين من أبرز أعضاء حلقة موسكو هما "جاكسون"، و"بوجاترف" *Petr Bogatyrëv*؛ لذا فصلة النسب قوية بين "الشكلية" و"حلقة براغ اللغوية"، فالكثير من الشكليين كانوا قد ألقوا محاضرات في "براغ" في العشرينيات<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 136.

<sup>2</sup> ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م، ص 103.

<sup>3</sup> محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2011 م، ص 70.

<sup>4</sup> ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 240.

<sup>5</sup> ينظر: دراقي الزويير، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 م، ص 84.

وعلى الرغم من هذه العلاقة القوية، يعلق "تيري إيجلتون" *Terry Eagleton* على "حلقة براغ اللغوية" قائلاً: "إن مدرسة براغ للغويات" - "جاكسون"، و"يان موكاروفسكي" *Jan Mukarovsky*، و"فيليكس فوديتشكا" *Felix Vodicka*، وغيرهم - تمثل نوعاً من الانتقال من الشكلية إلى "البنوية الحديثة" *Structuralisme moderne*، فقد طوّر أعضاؤها أفكار الشكليين، لكنهم نظموا نسقياً على نحو أكثر رسوخاً في إطار لغويات "دي سوسير" *Ferdinand de Saussure*، أصبح من الواجب النظر إلى القصائد باعتبارها "بنيات وظيفية"، تكون فيها الدالات والمدلولات محكومة بمنظومة واحدة مركبة من العلاقات، ويجب دراسة هذه العلامات لذاتها، وليس كانعكاسات لواقع خارجي: لقد ساعد تأكيد "دي سوسير" على العلاقة التعسفية بين "العلامة والمرجع"، وبين "الكلمة والشيء"، على فصل النص عن الوسط المحيط به وجعله موضوعاً مستقلاً<sup>1</sup>، ولقد تم التحول من المفهوم الشكلي "للأدب"، إلى مفهوم "حلقة براغ اللغوية"، عبر ثلاث مراحل تغيرت فيها النظرة "للأدب" من كونه: 1- حصيلة تجمع "الأدوات"، تعمل على نزع الألفة عما هو معتاد، لكي تغير من إدراكنا لهذا المعتاد. [إلى كونه] 2- نظام من "الأدوات" التي تعمل عبر وظائف "تزامنية" *Synchronique*، و"تعاقبية" *Diachronique* محددة.

[لكي ينظر إليه على أنه] 3- علامة مستخدمة في سياق له "وظيفة جمالية" *Anesthétique Fonction*. ويفسر "ماثيسوس" سرعة انتشار، وتقبل أفكار "حلقة براغ اللغوية" بالنجاحات العلمية السريعة التي أنجزتها الحلقة، وهي نجاحات لم تكن أبداً وليدة الصدفة كما يقول "فيلام ماثيسوس"، وإنما وليدة "مطلب ثقافي حاد"، نبع من احتياج العالم للعلمية في القرن العشرين، لذا "حلقة براغ اللغوية"، تعد خطوة تطويرية في المسيرة الفكرية للقرن العشرين، فهي "مرحلة لما بعد الوضعية" في مجال الدراسات اللغوية والأبحاث الشعرية. ويذكر "ليومار دوليزل" *Lubomír Doležel* أن "حلقة براغ اللغوية" أقامت أسسها "الإبستمولوجية" *Epistémologie*، عن طريق إعادة صياغة الاهتمامات التقليدية حول دراسة "الأدب"؛ لتنتقل بها إلى أفق أخرى أبعد، أفق "ما بعد وضعية"<sup>2</sup>، وهي تفعل ذلك بالاستناد إلى أربعة عناصر رئيسية: أولها: دراسة "الأدب" طبقاً للفكر العلمي الحديث، الذي تبني النزعة البنوية في ذلك الوقت. وثانيها: دراسة الأسس الشعرية للأعمال الأدبية من "منظور تجريبي"، يهدف إلى توضيح إشكالاتها، والتعليق على هذه الإشكالات "بلغة شارحة" *Métalangage* تبني "المنظور الوصفي"، بهدف توضيح تلك المتغيرات الثابتة، أي: تلك المتغيرات التي نجدتها موجودة بنسب مختلفة في أي عمل أدبي.

وثالثها: دراسة الفئات المختلفة من الشعرية، ووصفها بشكل واضح في مجموعة من الأعمال الأدبية المحددة. أما رابعها: فهو التمييز بين القارئ العادي، وبين القارئ الدارس الذي لديه خبرة في التعامل مع الأعمال الأدبية، و"حلقة براغ اللغوية" توجه اهتمامها الأساسي لهذا القارئ غير العادي، أو على الأقل ما تقدمه "الحلقة" من تحليلات

<sup>1</sup> تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة نادر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 01، 1995 م، ص 124.

<sup>2</sup> ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 107.

وتفسيرات تقدمه على مستوى هذا القارئ المميز، الذي يملك خبرة تمكنه من إدراك بعض أشياء في الأعمال الأدبية، وفي التحليلات النقدية، ربما لا يستطيع الفرد العادي إدراكها على نحو دقيق.

وفي ظل هذا الإطار الخاص "بحلقة براغ اللغوية" وفي ظل الملمح السائد في الدراسات اللغوية بعامة، التقط كلا من "جاكسون" و"يوري تينيانوف" *Yury Tynyanov* " ذلك الملمح وناقشاه وقدماه في عام 1928 م فيما سمي "بالأطروحات"، وبعد ذلك بعام - أي في عام 1929 م - صاغ "جاكسون" مصطلح "البنوية" *Structuralisme* في مجال الدراسات الأدبية، وعرفها بشكل واضح في النص التالي: "إن كان علينا أن نحدد الفكرة التي تقود العلم الحالي بتجلياته الأشد تنوعاً، فمن الصعب أن نقع على خيار أنسب من "البنوية"، فالعلم المعاصر لا يعالج أية مجموعة من الظواهر التي يتفحصها بوصفها كتلة ميكانيكية، وإنما باعتبارها كلا بنيويًا، أو نظاماً تتمثل المهمة الأساسية بالكشف عن قوانينه الداخلية سواء كانت سكونية أم تطويرية، ويبدو أن المنبه الخارجي لم يعد بؤرة الاهتمامات العلمية، بل الأسس الداخلية للتطور؛ فالتصور الميكانيكي للسيورورات، أو العمليات يخلي الطريق للسؤال المتعلق بوظيفة هذه السيورورات"<sup>1</sup>.

وهذا النص بهذه الصياغة، يعد أوضح تعريف "للبنوية" في صورتها الأساسية، و"جاكسون" هنا يحاول أن يصنع منها استراتيجية بحث علمية، يُبحث من خلالها في "النصوص الأدبية" المختلفة، وعلى هذا "البنوية" كما تبدو هنا، هي منهج بحثي يحاول أن يعمل على تحقيق العناصر التالية، عند تعامله مع أية مجموعة محددة من الظواهر<sup>2</sup>:

1- النظر إلى مجموعة الظواهر هذه على أنها تشكل كلا واحداً متكاملًا، وليس كلا ميكانيكياً به بعض انفصال بين عناصره المختلفة.

2- هذا الكل المتكامل له قوانينه، وأنظمتها الداخلية التي تحكمه، وتحكم سيورورته، وهذه القوانين تنقسم بين كونها قوانين سكونية [تزامنية] وأخرى تطويرية [تعاقبية].

3- هدف ووظيفة البحث هو الكشف عن هذه القوانين، وعن هذه الأنظمة التي تحكم هذا الكل المتكامل، وتحكم سيورورته.

4- البحث في هذه القوانين يجب أن يتم عن طريق التركيز على هذه الظواهر نفسها، دون النظر إلى أية منبهات، أو علاقات أخرى تقع خارج هذه الظواهر.

وهكذا فإن طموح "حلقة براغ اللغوية" كان طموحاً كبيراً فيما يخص الوقوف على العناصر التي تحقق الأدبية في الأعمال المختلفة؛ لذا حاولت صياغة نظرية ذات "طابع نسقي"، تقيمه على أساس تحديد ما هو جوهري وأساسي في "الأدب"، عن غيره من باقي العناصر التي ليست شرطاً في تحقيق الأدبية، وقد نجحت بالفعل في الوصول إلى نتائج ذات أهمية كبيرة في دراسات أعضائها حول "الشعر التشيكي"، لكن الأحداث التي تلت ذلك، لم تُمهّل أعضائها الوقت الكافي لكي يحققوا ما يريدونه، فمع الغزو الألماني "لشييكوسلوفاكيا" أغلقت الجامعات بأمر من "النازية"، في نوفمبر عام

<sup>1</sup> جوناثان كولر، الشعرية البنوية، ترجمة السيد إمام، دار شرقيات، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 80، وينظر: ليونارد جاكسون، بؤس البنوية الأدب والنظرية البنوية، ترجمة ثائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001 م، ص 96، 97.

<sup>2</sup> ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 87، 88.

1939 م، وعلى الرغم من مواصلة أعضاء الحلقة لاجتماعاتهم في منازلهم الشخصية، إلا أنه مع استئناف نشاط "الحلقة" في جوان عام 1945 م وكان الكثير من أعضائها المهمين قد رحلوا، سواء بالوفاة الطبيعية كـ"فيلام ماثيسوس" "Vulém Mathesius"، و"نيكولاي تروبتسكوي" "Nikolay Trubetskoj"، أو بالنفي والإبعاد "كجاكسون".

وعلى الرغم من أن "موكاروفسكي" "Jan Mukařovský" قد زار "باريس" "Paris" في عام 1946 م، وألقى فيها محاضرة عن "البنوية" في "معهد الدراسات السلافية" "L' Institut d' Etudes Slaves"، إلا أن هذه المحاضرة لم تُنشر، ولم يكن لها أثر يذكر في الثقافة الفرنسية<sup>1</sup>، وبالتالي فإن "البنوية" لم تنتقل من "حلقة براغ اللغوية" بشكل مباشر إلى "فرنسا"، رغم قرب المسافة في القارة الأوروبية بينهما، وإنما انتقلت عبر وسيط آخر هو "كلود ليفي شتراوس" "Claude Lévi-Strauss" الذي عرّف "البنوية" من "جكسون"، وذلك في "الولايات المتحدة الأمريكية" بعدما رحل "جكسون" إليها في عام 1939 م؛ وهو ما أدى إلى انتقال "البنوية" من "تشيكوسلوفاكيا" إلى "الولايات المتحدة الأمريكية"، وقد عمل "شتراوس" على الاستفادة من "البنوية" في حقله التخصصي "الأنثروبولوجيا"، وفي المحور القادم أتناول صنيعه هذا وأثره على "البنوية".

فـ"حلقة براغ اللغوية" أفادت كثيرا من أصول "مدرسة سوسير" أو "أفكار سوسير" ولكنها غيرت بعض هذه الأصول وطورت بعضها الآخر، وكان من أشهر مؤسسي هذه المدرسة "نيكولاي تروبتسكوي" "Nikolay Trubetskoj"، و"رومان جاكسون" "Roman Jakobson"<sup>2</sup>، لقد وضعت هذه المدرسة نظرية كاملة في التحليل الفونولوجي، وأقامت هذه النظرية على تصور خاص "الفونيم" "phonème"، ولم يكن هذا التصور إلا منبعنا من "ثنائية سوسير" المعروفة، وهي "اللغة / الكلام" "Parole / langue"؛ "الفونيم" عند "تروبتسكوي" يكون مرة من "اللغة" بوصفها نظاماً متعارفاً عليه في بيئة معينة، ويكون مرة أخرى من "الكلام" الذي هو ممارسة فعلية فردية للغة، فحين يكون "الفونيم" من اللغة يكون وحدة صوتية معزولة عن غيرها، فلا ينظر لوظيفتها اللغوية، ولا إلى دورها في المعنى، و"الفونيم" هنا يدرس ضمن فرع من "علم اللغة" هو "علم الأصوات اللغوية".

وقد كان لظهور "نظرية الفونيم" التي هي من ثمار "مدرسة براغ اللغوية" أثر كبير في تطور الدراسة اللغوية عامة، والدراسة الصوتية خاصة، إذ استطاعت أن تحل كثيرا من المشكلات العلمية، ولاسيما في تعلم اللغات، وتعليمها، وساعدت كذلك على تحديد أخطاء النطق، وتعيين الاتجاه الصحيح لعلاج هذه الأخطاء<sup>3</sup>، ولم تقف "حلقة براغ

<sup>1</sup> Lubomír Doležal, *Structuralism of the Prague School, IN: The Cambridge History Of Literary Criticism, Volume VIII, From Formalism to Poststructuralism, ED: Raman Selden, Cambridge University Press, New York, 2005, P.36*

<sup>2</sup> ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 115.

<sup>3</sup> ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 93.

اللغوية" عند وضع "نظرية الفونيم"، بل أمدت الدرس اللغوي المعاصر بمقولات وأفكار أخرى، تضمنها برنامجها الذي اعلنته عام 1929 م، وهو يعد لونا جديدا من النظر اللغوي، وجه علماء اللغة إلى ألوان من أخرى من البحث. ومن أفكار "حلقة براغ اللغوية" ذات الأثر الكبير في الدرس اللغوي، تحديد الوظيفة الحقيقية للغة، التي تتمثل "بالاتصال"، وما أثارته هذه الوظيفة من أسئلة في ذهن اللغوي مثل: كيف يتم الاتصال؟، ولمن يوجه؟، وفي أي مناسبة؟، وغير ذلك، ومن أفكار هذه "المدرسة" أن اللغة ظاهرة طبيعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجة عنه، يتعلق بعضها بالبيئة الاجتماعية ويتصل بعضها الآخر بالسامع، ويرجع قسم ثالث إلى الموضوع الذي يدور عليه الكلام، ونتيجة لهذه الفكرة برز في "الدرس اللغوي الحديث" ما يعرف بمستويات الاستعمال اللغوي، "كاللغة الثقافية"، و"اللغة الأدبية"، و"اللغة العامية"، وما دعت إليه "حلقة براغ اللغوية" الكشف عن تأثير اللغة بكثير من الظواهر "العقلية"، و"النفسية"، و"الاجتماعية"، وقد قادت هذه الفكرة إلى ظهور ثلاثة فروع في علم اللغة هي: "علم اللغة النفسي" و"Psycholinguistique"، و"علم اللغة الاجتماعي" و"Sociolinguistique"، و"علم الأسلوب" أو "الأسلوبية" و"Stylistique"، وكان اللون الأخير من البحث اللغوي قد ظهر على يدي "جاكسون"؛ إذ رأى أن دراسة الشعر هي جزء من دراسات علم اللغة، وقال عنها: أنها الدراسة اللغوية للوظيفة الشعرية، وكأنه كان يرى أن الشعر هو إحدى وظائف اللغة.

### أقطاب "حلقة براغ اللغوية"

سميت "حلقة براغ اللغوية" بـ"المدرسة الوظيفية" انطلاقا من تحديدها لمنهجها باعتبارها اللغة نظاما وظيفيا يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، وباعتقادها أن البنى "الصوتية"، و"القواعدية"، و"الدلالية" محكومة بالوظائف التي تؤديها في المجتمعات التي تعمل فيها، لذلك يجب أن تكون دراستها دراسة وظيفية محضة، فالباحث فيها يحاول دائما أن يكشف ما إذا كانت كل القطع الصوتية التي يحتوي عليها النص تؤدي وظيفة في التبليغ أم لا . فمن خلال هذا المنهج في الدراسة استقطبت "حلقة براغ اللغوية" العديد من علماء اللسانيات الشباب إلا أن الشخصيات الأساسية فيها انقسمت إلى:

أ - اللسانيون التشيك: يتقدمهم "فيلام ماثيسوس" "Vulém Mathesius"، و"ترنكا" "B. Trnka"، و"هافرانك" "Bohuslav Havránek"، و"فاشيك" "Josef Vachek".

ب - اللسانيون الروس: يتقدمهم "نيكولاي تروبتسكوي" "Nikolay Trubetskoy"، و"سيرجي كارسفسكي" "Sergueï Kartsevski"، ويضاف إليهم "رومان جاكسون" "Roman Jakobson"، بالإضافة إلى بعض اللسانيين الفرنسيين: كـ"أندريه مارتينييه" "André Martinet"، و"إميل بنفينيست" "Émile Benveniste".

وسنقصر الحديث على بعض الأعلام فاخترنا من اللسانيين التشيك "فيلام ماثيسوس"، ومن اللسانيين الروس "نيكولاي تروبتسكوي"، ومن اللسانيين الفرنسيين "أندريه مارتينييه"، وما قدّمه هؤلاء من جهود جبارة للبحث اللساني البراغي، بخاصة في مجال "الفونولوجيا".

### فيلام ماثيسوس

ولد "فيلام ماثيسوس" <sup>1</sup> "Vulém Mathesius"، في الثالث من أوت عام 1882 م في " باردوبيتسه" "Pardubice" "بجمهورية التشيك" "République tchèque"، وتوفي 12 أبريل 1945 في "براغ"، لغوي، ومؤرخ، وأديب، ومن علماء اللغة الانكليزية التشيك، ويعتبر المؤسس وأول رئيس "للحلقه براغ اللغوية" عام 1926 م، وممثل اللسانيات البنيوية، وكان أول أستاذ للغة الإنجليزية في "جامعة تشارلز" في براغ " Université Charles de Prague" عام 1912 م، ومن مجالات اهتمامته الرئيسية النحو، وعلم الأصوات، واللسانيات العامة، وأعرب عن اعتقاده في إمكانية دراسة اللغة كظاهرة مستقلة عن الظروف.

يعتبر "فيلام ماثيسوس" من أشهر العلماء في "اللسانيات"، و"اللغة"، و"الأدب الإنجليزي"، شغل منصب أستاذ اللغة الإنجليزية "بجامعة كارولين الأمريكية" " Université de la Caroline"، وكان نداءه الأول حول منهج جديد غير تاريخي سنة 1911 م حين نشر مقال بعنوان "حول كمونية الظواهر اللغوية" - أي: ما استخفي وكمن في الظاهرة اللغوية -، ومن أهم الأبحاث التي قام بها استعماله للدراسة الوظيفية للتمييز بين النحو، والأسلوبية <sup>2</sup>.

ومن أهم إسهامات "فيلام ماثيسوس" التي نال بها شهرة كبيرة في اللسانيات، تمييزه بين مفهومي "الموضوع" و"الخبر"، وتطويره لمنظور الجملة الوظيفي: حيث اعتبر الموضوع: هو الاسم الذي تخبر عنه الجملة، أو الكلمة التي هي محور الكلام في الجملة، والخبر هو كل ما يقال عن موضوع الكلام، إلى غير ذلك.

فالساني "ماثيسوس" يرى أن الجملة تنقسم إلى "موضوع وخبر"، والفرق بينهما هو دلالة الأول على فكرة معروفة، ودلالة الثاني على فكرة جديدة نعلمها من تضام الموضوع مع الخبر <sup>3</sup>.

وليس من الصعب أن نكتشف من خلال تعريف "الموضوع والخبر" أنها يقابلان "المسند والمسند إليه" في النحو العربي، وإن نحن تمعنا قليلا لوجدنا ما يشترطه "ماثيسوس" فيهما هو ما يشترطه علماء العربية في أقسام الجملة (المبتدأ والخبر)، فالأصل في المبتدأ (في العربية) أن يكون معرفة، وفي الخبر أن يكون نكرة، لأنك إذا قدمت حكما مألوفاً، ومعلوما لدى المخاطب لن تجد فائدة في إعادة إبلاغه له، اللهم إلا إذا كان على سبيل التذكير، والأمر نفسه بالنسبة للمبتدأ، فهو في جملة محكوم عليه، ولا بد أن يكون المحكوم عليه معروفاً، فإن لم يكن كذلك فما فائدة المخاطب، أو السامع في معرفة الحكم، فالغرض من الإخبار إفادة السامع ما ليس عنده، وتنزيلة منزلتك في علمك بذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، فإن قلت: رجل قائم، أو عالم، أو مريض ... وما إلى ذلك من الأخبار، لم يكن في كلامك ما يفيد السامع، لأنه ليس من الغريب، وليس بالجديد أن يكون هناك رجل قائم، أو عالم، أو مريض في هذا

<sup>1</sup> ينظر إلى تعريف "فيلام ماثيسوس" في المراجع الآتية:

أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

Larousse, Vilém Mathesius, 2017.

Ressources de la Bibliothèque nationale de France, Vilém Mathesius, 2017.

Toman, Jindrich, The magic of a common language : Jacobson, Mathesius, Trubetzkoy and the Prague Linguistic Circle, Cambridge, 1995.

<sup>2</sup> ينظر: محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 71.

<sup>3</sup> أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

الوجود، ممن لا يعرفهم المخاطب، وليس هذا ما ينتظر السامع أن يسمعه، فإذا اجتمع في الكلام معرفة ونكرة كانت المعرفة مبتدأ والنكرة خبراً، لأنك إذا ابتدأت بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت فإنما ينتظر الذي لا يعلمه.

### نيكولاي تروبتسكوي

"نيكولاي سرغي نيكولايفتش تروبتسكوي" <sup>1</sup> "Nikolay Sergeevitch Trubetskoy" عالم باللغات، واللسانيات، وأحد مؤسسي "حلقة براغ اللغوية"، روسي من أسرة عريقة توارثت لقب الإمارة في "روسيا"، و"ليتوانيا" "Lituanie" قروناً عدة، واشتهر منها قادة عسكريون، ومفكرون، وعلماء، كان أبوه الأمير "سرغي نيكولايفتش تروبتسكوي" فيلسوفاً، و"عالم لاهوت" - علم دراسة الإلهيات دراسة منطقية ويسمى هذا العلم "بالإلهيات" "Théologie" -، وباحثاً اجتماعياً، وأول رئيس منتخب "لجامعة موسكو" عام 1905 م.

ولد "تروبتسكوي" في "موسكو" "Moscou" - عاصمة الاتحاد السوفياتي سابقاً - وتوفي في "فيينا" "Vienne" - عاصمة "النمسا" "Autriche" -، وتلقى علومه الأولية في إحدى مدارس "موسكو"، انكب على دراسة "الأثنوجرافيا" "Ethnographie" - علم وصف الأعراق البشرية -، و"الفيلولوجيا الفنلندية الأوغرية"، والقوقازية"، وهو لا يتجاوز الثالثة عشر، فدرس اللغات "الفنلندية الأوغرية" - لغات تنتشر من شرق أوروبا شمالاً إلى المجر جنوباً، وتنتمي هذه اللغات إلى العائلة الأورالية الألطية، وتدعى هذه اللغات أيضاً اللغات الأورالية، وأمثلتها اللغة الفنلندية، والاستونية، والهنغارية -، نشر مقالين علميين، وهو لا يتجاوز الخامسة عشر، أتم دراسته الجامعية في "جامعة موسكو" عام 1913 م، ثم انتقل إلى جامعة "لايبزيغ" "Leipzig" في "ألمانيا" حيث تلقى محاضرات في علوم اللغة 1913 - 1914 م، وبعدها عاد ليزاول دراسة "اللسانيات الهندو أوربية" في "جامعة موسكو" وبعد مناقشته حولها أصبح أستاذاً بالجامعة سنة 1916 م، وبعدها عمل أستاذاً في "جامعة روستوف" "Université de Rostov" عام 1918 م، إلا أنه اضطر إلى مغادرة "روسيا" بعد "الثورة البلشفية"، وإخفاق "حركة الروس البيض"، وسيطرة النظام السوفييتي، فر إلى "إسطنبول" "Istanbul" عام 1919 م، وبعدها أقام في "براغ" ثم في "فيينا" عام 1922 م حيث درس "فقه اللغة السلافية"، وفي هذه الفترة أي ما بين 1919 و 1922 م أوكل إليه كرسي "اللسانيات الهندو أوربية" في "صوفيا" "Sofia" - عاصمة "جمهورية بلغاريا" "Bulgarie" -، وعين بعد ذلك في كرسي "الفيلولوجيا السلافية" في "فيينا"، ومنذ ذلك الوقت أصبح عضواً بارزاً في "نادي براغ اللساني".

تفرغ "تروبتسكوي" للبحث في تاريخ اللغات السلافية، والدراسات التاريخية المقارنة للغات شمالي "القوقاز" "Caucase" - الداغستانية، والأبخازية، والأديغية وغيرها - انضم إلى "الحركة الأوراسية"؛ وهي تيار معارض ظهر عام

<sup>1</sup> ينظر إلى تعريف "نيكولاي تروبتسكوي" في المراجع الآتية:

ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 235، 236، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 141، ينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 109.

Anderson Stephen R, *Phonology in the Twentieth Century, Theories of Rules and Theories of Representations*, The University of Chicago Press, Chicago, USA, 1985, pp 83-116

1921 م في أوساط المهاجرين من المثقفين الروس بعد أن تأكد لهم انهيار "حركة الروس البيض"، والفوضى التي عمّت العالم الأوربي بعد "الحرب العالمية الأولى"، وكان أنصار هذا التيار يرون أن الحضارة الأوربية ستضمحل، وتنهار، ويحل محلها حضارة شرقية مصدرها آسيا، والمناطق المجاورة لها من أوربا مشوبة بالروح القومية، وأفكار "الكنيسة الأرثوذكسية السلافية" "Eglise orthodoxe slave"، وكان شعارهم « السوفيات من دون الشيوعيين ».

اشترك "تروبتسكوي" مع اثنين من علماء اللغات هما التشيكي "فيلام ماثيسوس" "V.Matesius"، والروسي "رومان جاكسون" "Roman Jakobson" في تأسيس "حلقة براغ اللغوية" التي ظهرت في عام 1926 م، وبلغت أوج نشاطها في الثلاثينات، ثم انحلت عقدها في أوائل خمسينات القرن العشرين، وقد انضم إلى هذه الحلقة عدد كبير من العلماء "التشيك"، و"السلوفاك"، و"الروس"، و"الألمان" من المعنيين بدراسة أصول اللغات، ونشأتها، واللسانيات البنيوية، والمقارنة، وفي عام 1930 م انتخب "تروبتسكوي" عضواً في أكاديمية العلوم في "فيينا"<sup>1</sup>.

يعد "نيكولاي تروبتسكوي" واضع "مبادئ الفونولوجيا" (علم وظائف الأصوات اللغوية) على أنها علم قائم بذاته متفرع عن اللسانيات<sup>2</sup>، وقد طور "تروبتسكوي" نظرياته في هذا الباب بناء على الأفكار التي طرحها اللغوي الروسي / البولندي "إيفان ألكسندروفيتش بودوين دي كورتني" "Jan Baudouin de Courtenay"، والسويسري "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure" وألف كتاباً بعنوان "أسس الفونولوجية" "Principes de phonologie" عام 1939 م، ويعد من المراجع الأساسية في هذا الباب، وترجم إلى لغات كثيرة.

كذلك يعد "تروبتسكوي" أول من وضع "مبادئ المورفولوجيا" "Principes de Morphologie" أو "علم الأصوات الصرفية"، وحدد مهماته، ومضمونه، وهو فرع من اللسانيات يبحث في مجالات استخدام وسائل التصويت في تصريف الكلام واشتقاقه، أو بعبارة أخرى دراسة أصوات الكلام وارتباط كل "فونيم" "phoneme"<sup>3</sup> بغيره، وتراتبته، والتبدلات التي تطرأ عليه في الكلمة، وعلاقة ذلك كله بالتصريف، والنحو، فد "تروبتسكوي" اعتنى بتطوير مفهوم "الفونيم"، وأضفى عليه صبغة علمية، وعملية في آن واحد وعرفه بقوله "الفونيم هو أولاً وقبل كل شيء مفهوم وظيفي"<sup>4</sup>، كما اعتنى بمفهوم التضاد الفونولوجي ويعرفه بقوله "إنه كل تضاد فونولوجي بين صوتين مختلفين، يمكن أن يميز بين معانٍ فكرية في لغة معينة"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 139.

<sup>2</sup> أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م، ص 91، 92.

<sup>3</sup> أصغر وحدة أساسية في الدراسة الصوتية الحديثة لأية لغة بشرية يُميز بها المعنى، وهو أصغر وحدة صوتية تستعمل في بناء الكلام، وتؤثر فيه، بحيث لا يمكن استبدالها بفونيم آخر دون تغير في المعنى.

<sup>4</sup> أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 142، وينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م، ص 57.

<sup>5</sup> أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 143.

وقد خلف "نيكولاي تروبتسكوي" مقالات كثيرة تناولت بعض التصورات حول "المورفولوجيا" "Morphologie" نشرت ضمن مجموعة مؤلفات "حلقة براغ اللغوية" ترجمت إلى الروسية سنة 1965 م، و"علم الأصوات المقارن للغات شمالي القوقاز" عام 1926 م، و"دراسات في اللغة البولندية" (وارسو عام 1929 م).

توفي الأمير "نيكولاي تروبتسكوي" في "فيينا" عام 1938 م إثر نوبة قلبية حادة.

ترك "تروبتسكوي" عدداً من المؤلفات المهمة في مجال اختصاصه من أهمها "مبادئ الفونولوجيا" "principe de phonologie" الذي كتب باللغة الألمانية، الذي نشرته "حلقة براغ اللغوية" بعد وفاته بسنة؛ أي سنة 1939 م؛ لأنه خلفه غير كامل في صورته التي رسمها له، وترجم إلى اللغة الفرنسية عام 1949 م وبعدها إلى اللغة الإنجليزية، أما الترجمة العربية للكتاب فكانت متأخرة؛ فقد ترجمه "عبد القادر قنيني" سنة 1994 م بعنوان "مبادئ علم وظائف الأصوات"، ويعد كتاب "مبادئ الفونولوجيا" أشهر أثر لساني خلفه، وقد بدأ أبحاثه من حيث انتهى "سوسير"، وأقام تصوره "الفونيم" على أساس التفرقة التي وضعها هذا الأخير بين اللغة والكلام؛ حيث ينتمي الفونيم إلى مفهوم اللغة بالمعنى "السوسيري"، أما الأصوات فتتنتمي إلى الكلام، وعليه فرق "تروبتسكوي" بين "علم الأصوات" "Phonétique" و"علم وظائف الأصوات" أو "الفونولوجيا" "phonologie"<sup>1</sup>، ورأى أن الأول: هو العلم - أي: "علم الأصوات" - الذي يحلل، ويصف أصوات اللغة، وهي في حالة التجريد، وهي مستقلة عن غيرها، ومعزولة عن البنية اللغوية، بغض النظر عن دورها في المعنى.

والثاني - أي: "علم وظائف الأصوات" - هو العلم الذي يعالج الظواهر الصوتية انطلاقاً من وظيفتها داخل البنية اللسانية، ومثال ذلك قولنا: "النون صامت + مجهور + أغن"، فنكون قد وصفناها على أنها وحدة صوتية معزولة عن غيرها من الأصوات، وهو ما يهتم به علم الأصوات بينما يهتم "علم الأصوات الوظيفي" بتنوعات الصوت حسب السياق، "فالنون" مثلاً في كلمة (نهر) من الناحية الصوتية والتكوين النطقي الفيزيولوجي تختلف عن النون في كلمة (منك) و(عنك)... الخ<sup>2</sup>.

وأسس التحليل الفونولوجي عند "نيكولاي تروبتسكوي" هي:

- 1- الفونيم أصغر وحدة فونولوجية، وهو علامة لسانية مهمتها حمل معنى الكلمة.
- 2- ينبغي التمييز بين الوحدة اللسانية (الفونيم) وتحقيقات الصوت الفعلية والمتنوعة.
- 3- الفونيمات المنتمية إلى لغة واحدة، متضادة فيما بينها، ويتم التعبير عنها بواسطة عناصر الحركات، والصوامت، والإيقاع.

<sup>1</sup> ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 94.

<sup>2</sup> حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 105.

4- تؤدي التقلبات الثنائية دوراً جوهرياً، تظهر في سلسلة من المكونات المتوازية، ويؤدي أحد طرفي التقابل وظيفة الطرف الموسوم، الذي يدخل في تميز بالضد مع الطرف غير الموسوم<sup>1</sup>.

يعد "تروبوتسكوي" المؤسس الأول "لعلم الأصوات الوظيفي"، ومن آرائه في هذا المجال أنّ "الفونيم" هو أصغر وحدة فونولوجية في اللسان المدروس، منتهاها إلى جملة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم منها:

1- إذا كان صوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل: "قال" و"قال" فاختلاف "القاف" و"القاف" لا يؤدي إلى تغيير المعنى.

2- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه والإطار نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل: "حال"، "جال"، "فالحاء" و"الجيم" فهما فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما، وهما قادران على تغيير الدلالة.

3- إذا كان الصوتان من اللسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحد، مثل: صوت "النون" في العربية التي تتعدد صورها بتعدد الأصوات الموالية لها<sup>2</sup>.

ويرى "تروبوتسكوي" أنّ "الفونيم" عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، ومنه فكل "فونيم" يؤدي وظيفتين:

أ- وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب- وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، ومثال ذلك فونيم "النون" (ن) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة "نام"، لتحديد معناها ومدلولها، وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة "نام" مختلفة عن كلمات مثل: "قام"، "صام"، "حام"، وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأساسية) بشكل جلي - أثناء حذف الفونيم من الكلمة واستبداله بآخر - في تغيير المعنى، مثلاً: استبدال فونيم "الصاد" في كلمة "صام" بالقاف فتصبح الكلمة "قام"؛ فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها بفونيمات أخرى، وبترتيبها، وموقعها في بنية الكلمة، وهو ما يشبه فكرة التقلاب، والتبادل في الاشتقاق الأكبر في العربية<sup>3</sup>.

ج- الوظيفة التمييزية للفونيم ( القيمة الخلافية ): يرى "تروبوتسكوي" أنّ "الوظيفة التمييزية" هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية، ويعرف "الفونيم" من حيث وظيفته اللسانية على أنه: أصغر وحدة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين، ويفترض هذا الاختلاف وجود تضاد بين الوحدات المميزة؛ إذ أن ليس بإمكان أي "فونيم" تأدية

<sup>1</sup> ينظر: مجلة عالم الفكر، وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد 01، 1998 م، ص 234.

<sup>2</sup> ينظر: عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م، ص 45.

<sup>3</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 01، 2005 م، ص 70.

وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضادا لفونيم آخر، مثل الزوج (تاب/ ناب)، فوجود تضاد صوتي بين فونيمي التاء والنون، ميز بين دلالة الكلمتين، وعليه ركز على أن مفهوم الفونيم يأتي من مفهوم التغير والتضاد في المجال الصوتي<sup>1</sup>، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة.

إثر هذا الجهد الكبير حاز العالم "ترويتسكوي" شرف المؤسس الأول "للفونولوجيا" وقاده إمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط واستخلاص ملاحظاته الهامة الأولى على النظم الصوتية، ووصف منهجه في تحليل اللغة بأنه علم جديد، وقد كان هذا التحليل الفونولوجي رائدا في مجال الدراسات البنيوية المنهجية من حيث دقته، وصرامته، ونتائجه حتى راحت تحتذيه باقي الدراسات اللسانية الأخرى، فقد حدث على يده تحول الدرس الفونولوجي من الجزئيات المعزولة إلى النظام، ثم بحث هذه الجزئيات من خلال علاقتها المختلفة.

وبناء على ما تقدم فإن "المدرسة الوظيفية" أو "حلقة براغ اللغوية" هي إحدى المدارس المهمة في حقل اللسانيات؛ إذ استطاعت أن تفرض نفسها في هذا الميدان، ولا يزال تأثيرها ساريا إلى يومنا هذا، وقد وضع الوظيفيون كـ"فيلام مائيسوس"، و"نيكولاي ترويتسكوي" منهجهم أصلا لتحليل الأصوات الأساسية تحت اسم الفونولوجية؛ أي الصوتيات الوظيفية ساعين من وراء ذلك لمعرفة الوظيفة الأولى لهذه الأصوات، فالباحث عند تحليله للنصوص لا يفصل بين المعنى واللفظ، ويراهما مترابطين لذلك فهو يبحث عن آثار المعنى في معطيات اللفظ بالتساؤل عن وظيفة كل عنصر عنه، وهل يساهم في عملية التبليغ، ولهذا كان للمدرسة الوظيفية الصدى الكبير في الأوساط اللسانية العالمية، ولدى عدد كبير من منظري، ومتقفي العصر.

### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
3. تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة تائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط 01، 1995 م.
4. جوناثان كولر، الشعرية البنيوية، ترجمة السيد إمام، دار شرقيات، القاهرة، مصر، 2000 م.
5. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1417 هـ، 1997 م.
6. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م.
7. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2000 م.
8. دراقي الزويبر، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990 م.

<sup>1</sup> ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 237، 238.

9. سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال الوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط 01، 2005م.
10. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م.
11. الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م.
12. عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م.
13. عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م.
14. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
15. ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية الأدب والنظرية البنيوية، ترجمة نائر ديب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001م.
16. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2011 م.
17. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
18. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م.
19. وفاء محمد كامل، البنيوية في اللسانيات، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 27، العدد 01، 1998 م.

#### المراجع باللغة الأجنبية:

1. Anderson Stephen R, *Phonology in the Twentieth Century, Theories of Rules and Theories of Representations, The University of Chicago Press, Chicago, USA, 1985.*
2. *Dictionnaire Larousse, Vilém Mathesius.*
3. Lubomír Doležel, *Structuralism of the Prague School, IN: The Cambridge History Of Literary Criticism, Volume VIII, From Formalism to Poststructuralism, ED: Raman Selden, Cambridge University Press, New York, 2005.*
4. *Ressources de la Bibliothèque nationale de France, Vilém Mathesius.*
5. Toman, Jindrich, *The magic of a common language : Jacobson, Mathesius, Trubetzkoy and the Prague Linguistic Circle, Cambridge.*

# المحاضرة الخامسة

مدرسة براغ 2

## توطئة:

تندرج اللسانيات الوظيفية في التيار البنوي الذي كان بمثابة ردّ على النظرية التاريخية؛ والذي انطلق مع "سوسير"، فهي فرع من فروع البنوية، لكنها ترى أنّ البنية النحوية، والدلالية، والفونولوجية للغات تحدّد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع، وظهر الاتجاه الوظيفي إلى الوجود مع حلقة "براغ" التي استفادت من آراء "سوسير"، وجعلتها منطلقاً لها، فكوّنت لنفسها نظرية لغوية، وحدّدت هذه المدرسة منهجاً لنفسها بالانطلاق من تحديد اللغة باعتبارها نظاماً وظيفياً يهدف إلى تمكين الإنسان من التعبير، والتواصل، فهدف اللغة عند أصحاب هذه المدرسة هو التواصل، ودراستها ينبغي أن تراعي ذلك، فكلّ عنصر يساهم في التواصل ينتمي إلى اللغة، وكلّ ما ليس له دور في ذلك فهو خارج عنها، لكن هذه النظرية الوظيفية لم تتبلور في كلّ مظاهرها إلّا مع "أندريه مارتينييه" "André Martinet".

## أندريه مارتينييه:

ولد "أندريه مارتينييه" <sup>1</sup> "André Martinet" في 12 أبريل 1908 م في "سان ألبان دي فيلار" "Saint-Alban-des-Villards" بمقاطعة "السافوا" "Savoie" بفرنسا "France"، وبعدما أتمّ دراساته العليا اشتغل بالتدريس في بعض ثانويات "باريس"، وفي الوقت نفسه انكب على دراسة اللغة الإنجليزية، ونال "شهادة التبريز" - يعني قريب من محاضر -، و"شهادة الدكتوراه" في "دراسة اللغات الجرمانية" سنة 1937 م، وأصبح "مدير للدراسات الفونولوجية" "بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا" عام 1938 م، وفي "الحرب العالمية الثانية" ألقي عليه القبض، وأودع السجن فاغتنم الفرصة هناك، وألّف كتاباً قيماً بعنوان "نطق الفرنسية المعاصرة" "La prononciation du français contemporain" معتمداً على أربع مئة رواية .

ومن 1932 م إلى 1938 م كانت له اتصالات مكثفة مع علماء "حلقة براغ اللغوية" وبخاصة مع "تروبتسكوي"، كما شارك في أعمال "الحلقة" التي كانت تنتشر بانتظام، ومن 1946 م إلى 1955 م استقر "بالولايات المتحدة الأمريكية" وشاهد تطور "اللسانيات" فيها على يدي "ساير" "Edward Sapir"، و"بلومفيد" "Leonard Bloomfield"، وفي عام 1946 م عين مديراً للمجلة العلمية اللسانية "الكلمة" "Word" واستمر في منصبه هذا حتى عام 1960 م، وفي عام 1947 م حمل مسؤولية إدارة "معهد اللسانيات" "بجامعة كولومبيا" "Université".

<sup>1</sup> ينظر إلى تعريف "أندريه مارتينييه" إلى المراجع الآتية:

أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 151، وينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ص 117، وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 103، 104، وينظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م، ص 16.

Francois Dosse, *History of Structuralism: The Sign Sets*, University of Minnesota Press, USA, May, 1997.

"Columbia" "نيويورك" "New York" كما عين مديراً للجمعية العالمية للغة المساعدة" التي كانت ترمي إلى إنشاء لغة عالمية جديدة، وشغل منصب أستاذ في "جامعة السربون" "Université Paris-Sorbonne"، ومنصب مدير "الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس".

ويعد "مارتينيه" اليوم من أشهر اللسانيين المعاصرين الذين يؤكدون على "علم اللغة الوظيفي"، بقوله عن هذا العلم، إنه "ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله، وأن وظيفة وحدة، أو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير الكامل للواقعة اللغوية"<sup>1</sup>، وهذا يشير إلى أهمية الجانب الوظيفي في تحليل اللغة، وفهمها، وتفسير الوقائع المرتبطة بها، لأن مثل هذا الجانب يمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها، الأمر الذي يؤكد ارتباط الوظيفة بالمعنى، وأن كل وظيفة محددة مهما كان نوعها تؤدي معنى محدداً في سلسلة الوظائف، أو المعاني التي ترتبط بالبنية اللغوية.

توفي "أندريه مارتينيه" بفرنسا" ببلدية "Châtenay-Malabry" في 16 جويلية 1999 م.

**مؤلفاته:** ألف "مارتينيه" ما يزيد عن مائتين وسبعين مؤلفاً يتعلق العديد منها "باللسانيات العامة"، و"اللسانيات الوصفية"، و"الفونولوجيا الوظيفية"، و"الفونولوجيا التاريخية" ومن أشهر هذه المؤلفات<sup>2</sup>:

"التصنيف الصامت ذو الأصل التعبيري في اللغات الجرمانية" وهذا هو عنوان الأطروحة التي نال بها شهادة الدكتوراه، و"نطق الفرنسية المعاصرة"، و"الفونولوجيا كنوع من الصوتيات الوظيفية"، و"نظرية وظيفة اللغة"، و"اقتصاد التغيرات الصوتية"، و"مبادئ اللسانيات العامة"، وهذه قائمة بمؤلفات "أندريه مارتينيه":

- La gémiation consonantique d'origine expressive dans les langues germaniques, 1937.*  
*La phonologie du mot en danois, 1937.*  
*La prononciation du français contemporain, 1945.*  
*Économie des changements phonétiques, 1955.*  
*La Description phonologique avec application au parler franco-provençal d'Hauteville, 1956.*  
*Éléments de linguistique générale, 1960.*  
*A functional view of language, 1962.*  
*Langue et fonction, 1962.*  
*La linguistique synchronique, 1965.*  
*Manuel pratique d'allemand, 1965*  
*Le français sans fard, 1969.*  
*Dictionnaire de la prononciation française dans son usage réel, avec Henriette Walter, 1973.*  
*Évolution des langues et reconstruction, 1975.*  
*Studies in Functional Syntax, 1975.*  
*.Grammaire fonctionnelle du français, 1979*  
*.Syntaxe générale, 1985*

<sup>1</sup> André Martinet, *La linguistique synchronique*, PUF, Paris, France, 1970, p 175.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 152، 153.

*.Des steppes aux océans : l'indo-européen et les indo-européens, 1986*

*.Fonction et dynamique des langues, 1989*

*.Mémoires d'un linguiste, 1993*

اعتمد "أندريه مارتينييه" في دراسة "الأصوات الوظيفية"، على مبادئ "حلقة براغ اللغوية" فتطورت على يده "اللسانيات" في أوروبا بصفة عامة، وفي "فرنسا" بصفة خاصة، وقد ركز على الوظيفة في اللغة أثناء عملية التبليغ والتواصل.

ومن أهم آرائه اللسانية ما يلي:

أ- وظيفة اللغة: يعد "مارتينييه" الوظيفة التواصلية الوظيفة الأساسية للغة بين أفراد المجتمع اللغوي، وهذه الوظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، فهي الوظيفة الجوهرية للغة عنده، ولكنه لا ينفي بقية الوظائف التي تؤديها اللغة، بل يقربها، ويعتبرها ثانوية كما يرى أن اللغة ليست نسخاً للأشياء، ونقلها إليها؛ بل هي بني منظمة، ومتراصة، ومتكاملة يتطلع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء، والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية فتعلم لغة أجنبية مثلاً، لا يعني وضع علامات جديدة للأشياء المألوفة، وإنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة بالتعرف على البنى اللغوية لها تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم<sup>1</sup>.

ب- التقطيع المزدوج: هذا التقطيع يظهر في ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره، ورغباته الذاتية، التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى لإيصالها للغير، ويكون ذلك إما بصيغة فرح، أو صرخة ألم، وإما بحركة دالة وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي، لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تسرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد من الوحدات الصوتية<sup>2</sup>، يعتبر التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتينييه" الذي يرى أن اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية، لكونه مزدوج التقطيع؛ أي: أن الأقوال اللسانية تتكون على بعض المستويات<sup>3</sup>.

ج- المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية: يحصرها "مارتينييه" في ما يلي:

- الصلات القائمة بين الوحدات اللسانية: يركز التركيب اللساني الوظيفي العلاقات بين الفونيمات، وما ينتج عن ذلك من تأثير في طبيعة التراكيب، وتحدد وظيفة كل فونيم داخل الجملة انطلاقاً من هذه العلاقات.

-رتبة الوحدات اللسانية: إن دراسة علاقة الفونيمات في ما بينها وحدها، لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها، وانتظامها داخل تركيب وفق ترتيب معين، فاختلاف الموقف يؤدي إلى اختلاف وظيفتها التركيبية .

<sup>1</sup> ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 253، 254.

<sup>2</sup> أندريه مارتينييه، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة: رمون رزق الله، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1990 م، ص 18، وينظر: رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 82، وينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م، ص 63.

<sup>3</sup> ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 250.

- **محتوى الوحدات اللسانية:** يركز "مارتينييه" على المحتوى الدلالي للفونيم الذي يكسبه دلالة خاصة ومستقلة عن غيره، تجعله يؤدي وظيفة مميزة داخل التركيب .

- **مفهوم الملائمة:** تعتبر الملاحظة الموضوعية للمعطيات أساس كل علم، وهذه المعطيات متشابكة ومعقدة، لذا يجب التركيز على مظهر الموضوع، وعلى اللساني أيضا أن يتقصى السمات الخاصة، والملائمة للموضوع الذي يسعى لدراسته، فاللغة كباقي العلوم لها سمات ملائمة أو مناسبة لتحليلها؛ فالأعداد مثلا: هي السمات المناسبة في "علم الحساب"، والأشكال هي السمات التي يجب التركيز عليها في "علم الهندسة"، وهذه الطريقة تحدد مستويات الدراسة بدقة ووضوح.

- **الاقتصاد اللغوي في مجال التطور اللساني:** تطور اللغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية الذي يساعد على تطور اللغة. ويشير هنا "مارتينييه" إلى أن هذه الأسباب الخارجية يكمن تأثيرها في اندراجها في إطار بنية اللغة، كما أنه يركز على وجوب المحافظة على التفاهم والاتصال الذي يضمن للغة البقاء والتطور.

- **الدراسة التركيبية:** استطاع "مارتينييه" أن يطور التحليل التركيبي للجملة، انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها "الدراسة الفونولوجية"، فوضع الخطوط الأولية والتي تقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب، وطرق ترتيبها<sup>1</sup>.

ومن الملاحظ أن "التحليل التركيبي" في اللسانيات قد تحلى عن مصطلح (كلمة) لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم، ولأنه يطلق على وحدات دنيا بأتم معنى كلمة مثل: "من"، "على"، "هل" ...<sup>2</sup>، ويطلق أيضا عليها مصطلح "وحدة" "unite"، وتتكون من عناصر لكل واحد منها وظيفته، مثل قولنا: "خرج"، "أخرج"، فكلاهما تتضمن الحروف الدالة على الخروج، وأخرج تتضمن زيادة على ذلك الصيغة الدالة على الأمر الموجه للمخاطب المفرد والمذكر، لهذا كان من الضروري توخي مصطلحات أكثر دقة، تفي بمفهوم "الوحدة الدنيا"، وقد اصطلحت النظرية الوظيفية على هذا المفهوم بالفونيم<sup>3</sup>، ويرى "مارتينييه" أن العلاقة التي تربط "الفونيمات" في النظام اللساني تتجلى في حالات هي:

**1- اللفظة المستقلة:** هي وحدات دالة تتضمن في بنيتها دليل وظيفتها، وتتمثل في الظروف مثل: "اليوم"، "غدا"، "أحيانا"، والعلاقة التي تربط هذه الوحدات بغيرها من الألفاظ قائمة على أساس دلالتها الذاتية لا باعتبار موقعها في التركيب، أو تقيدها بترتيب مثل: "كرم الأديب أمس"، فلفظة "أمس" يمكن أن تظهر مواقع مختلفة، إذ يمكن القول أيضا: أمس كرم الأديب / وكرم أمس الأديب / الأديب كرم أمس<sup>4</sup>.

**2- اللفظة الوظيفية:** اللفظة لا وظيفة لها في حد ذاتها، بل تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، كما يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق اللساني الذي ترد فيه مثل: "حروف الجر"، و"أدوات النصب"، و"الجزم" في العربية، نحو:

<sup>1</sup> ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 255، 256، 257، وينظر:

John Lyons, *Linguistique générale, traduction de F Dubois Charlier et Drobinson, Larousse, Paris, France, 1970, p 139,140.*

<sup>2</sup> جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 118.

<sup>3</sup> أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م، ص 113.

<sup>4</sup> خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبه للنشر، الجزائر، 2000 م، ص 101.

ذهب الطالب إلى الجامعة، فـ"إلى" لفظة وظيفية، لا وظيفة لها في حد ذاتها، لكنها تجلب للاسم الذي يأتي بعدها - الجامعة - وظيفة؛ فيعتبر اسما مجرورا.

**3- اللفظة التابعة:** هي اللفظة المقترنة باللفظة الوظيفية التي تحدد وظيفتها، مثل الاسم المجرور المقترن بحرف الجر، فلفظة (الجامعة) في المثال السابق هي لفظة تابعة مقترنة باللفظة الوظيفية (إلى)، وهناك لفظة تابعة مقيدة بالموقع تحدد وظيفتها من خلال موقعها، فتغير الموقع يؤدي إلى تغير وظيفتها النحوية مثال: "زارنا عميد الكلية"، (الكلية) مضاف إليه، وهي لفظة مقيدة بالموقع.

**4- العبارة المستقلة:** تتألف العبارة من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة على سبيل الذكر: "الجار والمجرور"، و"المضاف والمضاف إليه"، و"النعته والمنعوت" .. مثال: "زرت مع أساتذتي معرض الكتاب"، عبارة (مع أساتذتي) تدل على المعية لا تفهم من خلال جزء واحد من العبارة، بل من خلال ارتباط العنصرين معا، ويجوز تغيير موقعها.

**5- المركب الاسنادي:** مثال: اشترى الأستاذ كتابا قيما، فلفظة (كتاب) مفعول به مرتبطة ارتباطا مباشرا بالمركب الاسنادي فهو يؤدي وظيفة أولية ولفظة (قيما) نعت، يتعلق تعلقا غير مباشر بالمركب الاسنادي عن طريق المفعول به، ولذلك فوظيفة غير أولية<sup>1</sup>، وقد ميز "مارتينييه" بين نوعين من الإلحاق هما:

**أولاً: الإلحاق بالعطف:** هو الذي يبقى الكلام مطابقا لبنية الجملة النواة، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه) مثال: حضر العظماء والأشراف إذا حذف العنصر الأول العظماء تصبح الجملة حضر الأشراف مطابقة للجملة الأولى. **ثانياً: الإلحاق بالتبعية:** ويختلف عن الإلحاق الأول، ففيه يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع) مثال: "كافأه بجائزة كبيرة من الكتب"، لا يمكننا حذف العنصر الأولي (جائزة) لأن وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (كبيرة)، ومفهوم الإلحاق عند "مارتينييه" يتضمن وظائف مختلفة: "كالنعت"، و"المضاف إليه"، و"المفعول"، و"المعطوف"، ومن منطلق "التحليل الوظيفي" للبنى التركيبية يعرف الجملة بقوله: هي كل تركيب تتصل عناصره بركن اسنادي وحيد، أو متعدد عن طريق الإلحاق<sup>2</sup>.

**6- أنواع الوحدات التركيبية:** تتخذ الوحدات التركيبية أشكالا مختلفة، فتارة تكون مجرد لفظات بسيطة، وتارة أخرى تطراً عليها ظواهر تجعل منها لفظات من نوع خاص، اللفظات المميزة، والعدمية، والمفروقة، والمشاركة وتارة تكون مؤلفة من جزئين فأكثر على شكل صيغ مركبة تعمل عمل الوحدة التركيبية الواحدة: "الصيغة الاتحادية"، و"الصيغة التركيبية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م، ص 48، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 153، 154، وينظر: جيفري سامسون، مدارس اللسانيات ص 119 وما بعدها، وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 108، 109.

<sup>2</sup> ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م، ص 111، 112، 113، وينظر: عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، ص 46.

<sup>3</sup> أندري مارتينييه، مبادئ السنوية عامة، ص 104 وما بعدها.

أ- اللفظة البسيطة: هي "الوحدة الدنيا" للتقطيع الأول مزود، ومدلول، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي في المحيط نفسه، مثال: "أحمد طالب نجيب"، يمكن استبدال لفظة (نجيب) بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي مثال: "مجتهد"، "كسول"، "ذكي"، "مجد".

كما يمكن للفظة البسيطة أن تقترن بوحدات أخرى على المحور التركيبي مثل: "هذا طالب نجيب" / "جاءت طالبة نجيبة" / "التقيت بنجباء القسم".

ب- اللفظة الممتزجة: يكون فيها الدال منطويا على مدلولين أو أكثر، ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية مثلا: صيغة جمع التكسير في اللفظة (أبطال) لها مدلولان، أحدهما يمثل معنى لمفرد (بطل)، والثاني يمثل معنى الجمع، ولا يمكننا التمييز الخطي بين المدلولين في حين يسهل ذلك لصيغ الجمع السالم مثلا: مسلم، مسلمون، مسلمات، فمدلول المفرد، ومدلول الجمع يمثلهما في جمع التكسير دال هو الدال الممتزج (أبطال)

ج- اللفظة المفروقة: هي عكس اللفظة الممتزجة، وفيها يتجزأ الدال إلى جزئين، أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة، مثال: "ارتدت الممرضة مزرها"، تدل على التأنيث في هذا المثال ثلاث علامات هي: (ت) في (ارتدت)، و(ة) في (الممرضة)، و(ها) في (مزرها).

د- اللفظة العدمية أو الصفرية: هي غياب شكلية متوقعة، ويرمز لها أثناء التحليل بعلامة تفاضلية على شكل صفر (0) ويتضح ذلك في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين هما الفتحة والتاء المربوطة مع المؤنث وغيابها مع المذكر، مثل: معلم 0 معلمة، أستاذ 0 أستاذة، كما تتجلى في الأفعال: مثال: كتب 0 كتبت = كتب + ت

هـ - اللفظة المشتركة: دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر، ولا يمكن استقلالها بمدلول واحد يحدده السياق مثال: تبتسم، فصيغة المضارع نجده مع: \* المخاطب المفرد المذكر "أنت"، \* مع الغائب المفرد المؤنث "هي".

و- الصيغة الاتحادية: وحدة قابلة للتحليل شكلها ومعنويها إلى وحدتين دالتين أو أكثر إلا أنها تتصرف تركيبها كمفردة واحدة وتتحد لأداء وظيفة واحدة، مثال: جواز السفر، أم كلثوم، جملة القول... فقد تكون "مضافا ومضافا إليه"، أو "صفة وموصوف"، أو "أسماء مركبة"، أو "صيغة جامدة"، وهي تعامل معاملة اللفظة الواحدة<sup>1</sup>.

7- الصيغة التركيبية: يرى "مارتينييه" بأنها مجموع لفظات لكل منها وظيفة خاصة، وتحتوي في أغلب الأحيان على وحدة وظيفية تحقق لها الاستقلالية، فتكون وظيفتها غير مرتبطة بالموقع مثال: في السنة الماضية تؤدي الوظيفة نفسها في التراكيب التالية: "في السنة الماضية سافرت إلى مصر" / "سافرت في السنة الماضية إلى مصر" / "سافرت إلى مصر في السنة الماضية"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 111 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م، ص 74 وما بعدها.

وبهذا تتضح لنا قيمة الجهود التي بذلها "مارتينييه" في البحث اللساني الحديث الذي أصبح يتسم بالموضوعية العلمية، بعد أن طغت عليه المعيارية في الماضي، فقد توصل إلى تمييز عناصر بسيطة بواسطة التقطيع المزوج خاصة، واقترب بذلك من العلوم الدقيقة مما فتح أفقا جديدة في ميدان البحث والتطبيق.

### رومان جاكسون

لعلنا أفردنا الحديث عن "رومان جاكسون" في المحاضرة السابقة - محاضرة "حلقة موسكو اللغوية" -، وسنحاول في هذه المحاضرة ذكر "نظرية وظائف اللغة" التي جاء بها "جاكسون"

### نظرية وظائف اللغة:

تعد هذه النظرية أهم، وأشهر ما جاء به "جاكسون" *R. Jakobson*، وقد استلهمها من "نظرية الاتصال" *Théorie de la communication*، التي ظهرت لأول مرة سنة 1948 م، ومفادها أن عملية التواصل تتطلب ستة عناصر أساسية هي "المرسل" *émetteur*، و"المرسل إليه" *récepteur*، و"الرسالة" *message*، و"القناة" *canal*، و"المرجع"، و"شفرة الاتصال"؛ "فجاكسون" كان من أبرز علماء اللسانيات الذين لفتوا الانتباه إلى وظائف اللغة، وأن مفهوم اللغة يجب أن يُدرس بوصفه نظاماً وظيفياً، وأن الكشف عن هذا النظام إنما يتم من خلال وظيفة العناصر الداخلة فيه، وقد رأى أن هناك ست وظائف للاتصال كان قد صنّفها على الشكل التالي:

1- **الوظيفة التعبيرية** (*La fonction expressive*): أو الوظيفة الانفعالية (*Emotive*) تركز على المرسل إذ تعبّر، بصفة مباشرة عن موقف المتكلم حيال ما يتحدث عنه، وتنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو كاذب، فتبدي عواطفه، ومواقفه تجاه قضية ما، يتجلى باعتماد آليتين: الأولى دلالية صرفة كصيغة التعجب، والاستغاثة، والندبة... الخ، وفي بعض الأدوات اللغوية التي تدل على "الاستفهام"، أو "التعجب"، أو "الانفعال"، حين يكون الخطاب مكتوباً<sup>1</sup>.

أما في الخطاب المنطوق فتعتمد على "النبر"، و"التفخيم"، و"الترقيق"، و"الجهر"، و"الهمس"، وارتفاع الصوت وانحداره"، تهيمن هذه الوظيفة من الناحية الأسلوبية عندما يحتلّ الكاتب أو الناظم المكانة المركزية في النصّ ويسعى إلى التعبير عن أفكاره، ومشاعره كما في أدب السيرة، أو في "الشعر الغزلي" فيسيطر ضمير المتكلم، وأدوات تركيبية خاصة يتصدرها التعجب.

2- **الوظيفة الافهامية** (*La fonction cognitive*): أو "التأثيرية" *impressive* "ويحمل المصطلح الثاني دلالة عاطفية في حين أن الأول ينطلق من وجهة نظر عقلية، تهيمن في الأدب الملتمزم والروايات العاطفية؛ إذ تكثر مخاطبة

<sup>1</sup> رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م، ص 29، وينظر: عبد السلام مسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط 03، ص 158.

الآخر، ومحاولة التأثير عليه، وإقناعه، أو إثارته، وتعلق هذه الوظيفة بالمتلقي، فالنص خاضع لتأثير حرية القارئ بأقصى ما في هذه الحرية من شفافية، فللقارئ قدرة مشروطة وهو في ذلك لا يختلف عن الكاتب<sup>1</sup>.

3- الوظيفة الانتباهية (*la fonction phatique*): وتعلق بقناة التخاطب، وتتجلى كثيرا في المحاورات الشفافية، ولذلك يمكن أن ندرج فيها كل ما من شأنه أن يثير انتباه المتلقي من تكرارات، وتأكيدات، أو إطناب..، وتوظف هذه الوظيفة لإثارة انتباه المخاطب، أو التأكيد من استمرار جهوزيته للاستقبال، مثل: "قل، أسمعني؟" أو "إستمع إلي!" ومن الجانب الآخر من الخطّ "همّ همّ"، أو "إم إم"، أو "أي أي"؛ إذ تنسحب العملية التواصلية قليلاً من دائرة الرسالة للتأكد من ممرّها، لذا اشترك الباتّ والمستقبل في صنع هذه الوظيفة<sup>2</sup>.

4- الوظيفة المرجعية (*la fonction référentielle*): أو المعرفيّة (*cognitive*)، أو الإيحائية (*démotive*) حين تتجه الرسالة إلى السياق وتركّز عليه، فدور اللغة أن تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها بالرمز إليها؛ إذ اللغة رموز معبّرة عن أشياء، وتنصب هذه الوظيفة على مرجع الرسالة "جميع الظروف التي تحف العملية التواصلية"<sup>3</sup>.

5- وظيفة ما وراء اللغة (*La fonction métalinguistique*): تستعمل حين يشعر المتخاطبان بالحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن (الشفيرة) الذي يوظفان رموزه في التخاطب فيكون الخطاب مركّزاً عليه لأنه يشغل "وظيفة ميتالسانية"، أو وظيفة شرح، أو "ميتالغوية" فيتساءل المستمع: إنني لا أفهمك، ما الذي تريد قوله؟ أو: ما تقول؟ ويسبق المتكلم مثل هذه الأسئلة فيسأل: "أتفهم ما أريد قوله؟"، أو يقول: أريد أن أقول، أو: أقصد... أي الكلام عن الكلام (لا الكلام عن الأشياء). ويمكن أن تراعى هذه الوظيفة في القراءة وهي:

- وحدة اللغة: فالكاتب يستثمر في إبداعه الكلمات، والجمل التي يعبر بها مجتمعه عن أغراضهم المختلفة.
- وحدة الثقافة: أي: التراث الثقافي المشترك، والعقيدة الفكرية العامة المشتركة.
- وحدة البداهة: أي: مجموع الأفكار والمعتقدات، وأحكام القيمة التي يفرزها الوسط، فيقبلها كأمر بديهية لا تحتمل التبرير، أو الاستدلال<sup>4</sup>.

6- الوظيفة الشعرية (*Fonction poetique*): تركّز هذه الوظيفة على الرسالة، وتفرض هيمنتها على فنّ الشعر باعتبارها رسالة لفظية، وعملاً إبداعياً تتدخل فيه ذاتية المبدع لتنسج أبنيتها داخل نظام لساني معين، وتظهر في الرسائل

<sup>1</sup> رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص 29، وينظر: الطاهر بومزير، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م، ص 39.

<sup>2</sup> نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م، ص 382.

<sup>3</sup> رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص 28، وينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 381، وينظر: بيار جيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1984 م، ص 01.

<sup>4</sup> رومان جاكسون، قضايا الشعرية، ص 23.

اللغوية الأخرى وغير اللغوية كما في الفنون "الرسم، الموسيقى، المسرح..."، ويكون النص في هذه الوظيفة غاية في ذاته فتصبح هي المعنية بالدرس.

يقول "جاكسون" في شرح هذه الوظائف: "يقوم "المرسل" بإرسال "رسالة" إلى "المرسل إليه"، وتتطلب هذه "الرسالة" لكي تكون فاعلة، سياقاً تشير إليه، يمكن "للمرسل إليه" استيعابه، والسياق إما أن يكون لفظياً، أو يمكن له أن يكون كذلك، كما تقتضي "الرسالة" شفرة مشتركة كلياً، أو جزئياً، بين "المرسل" و"المرسل إليه"، وقناة اتصال فيزيائية، أو رابط سيكولوجي، بين المرسل والمرسل إليه، يمكنها من إقامة عملية الاتصال، والإبقاء عليه"<sup>1</sup>.

وتشهد كتب التراث العربي على اختلاف مجالاتها على وجود ما يسمى اليوم "بعناصر الاتصال"، أو "عناصر الخطاب"، وأهمها الخطاب في حد ذاته، أو الرسالة، والمرسل، والمرسل إليه، والمقام أو السياق العام، إذ يبدو وعي اللغويين العرب بالرسالة واضحاً جداً، وذلك في اهتمامهم بصياغة القواعد النحوية التي تصبو إلى المحافظة على نظام واحد للجملية حتى لا يعسر الفهم على المخاطب، وهو الأمر الذي جعلهم يعنون بالإعراب عناية كبيرة حتى تحقق الرسالة قوتها التأثيرية، وما أشار إليه البلاغيون قديماً في تعريفهم للبلاغة لأكثر دليل على انشغال الفكر العربي بقضية الرسالة، فقولهم: "البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة"، يؤكد أن الخطاب الأدبي يقوم بالدرجة الأولى على عملية الإبداع، فيخترق من أجل أن يترك في النفس أثراً خلافاً قيود اللغة، محافظاً في الوقت نفسه على حسن العبارة وفصاحتها.

وإذا كان المرسل إليه في الدرس اللساني الحديث أهم أقطاب الخطاب، فإنه في رأي علماء العربية ينال القدر نفسه من الأهمية والتبجيل، وهو الأمر الذي جعل البلاغيين يعتبرون أبلغ الناس أسهلهم لفظاً وأسرعهم بديهة، ويعتبرون البلاغة إجابة من غير إبطاء، وقول من غير خطأ، مشترطين في البليغ سرعة الإيصال مع سلامة العبارة، لأن الخطأ في التركيب ينفي سهولته، وفي البلاغة الأمر نفسه، مما يحقق العملية الإبداعية بين السامع، والمتكلم.

فضلاً عن الرسالة ومنشئها فإن متلقيها جانباً آخر من الأهمية، فلولا وجوده ما وجدت الرسالة أصلاً، ولكان وجودها دون فائدة تذكر، وليس اهتمام نحاة العربية بتقسيم أدوات النداء حسب المنادى إلا دليل على أهمية هذا الطرف في العملية الإبداعية، فهم يرون أن هذه الأدوات قسماً: أدوات لنداء القريب: "الهمزة" و "أي"، وأدوات لنداء البعيد: باقي الأدوات.

### إسهامات "حلقة براغ اللغوية"

#### منظور الجملة الوظيفي:

يقوم هذا المنظور على أن المستويات اللغوية جميعاً تتفاعل خلال عملية الاتصال اللغوي، مما ينتج ما يسمى "بالمستوى الكلامي"، وعلى هذا الأساس فالمنظور الوظيفي يتجلى في الكلام الذي يعبر عن القيمة الاتصالية للغة، من خلال تفاعلها مع الواقع الذي وجدت فيه.

<sup>1</sup> بيار جيرو، السيمياء، ص 12.

إن الشكل العام لمنظور الجملة الوظيفي في جميع اللغات هو نظام الرتبة فيها، وهو دراسة لعملية ترتيب المفردات في التركيب اللغوي، من أجل الحصول على محتوى دلالي معين<sup>1</sup>، ويتعلق الأمر هنا "بالتقديم"، و"التأخير"، و"الزيادة"، و"الحذف"، و"الفصل"... الخ، حيث يركز الدارس هنا على التغيرات التي تطرأ على التركيب مثل: "غربت الشمس"، "غربت الشمس قبل قليل"، "الشمس غربت قبل قليل"، "قبل قليل غربت الشمس"، وغيرها من التراكيب التي يكون لكل منها وظيفة خاصة ما كانت في مثيلاتها، ومن إنجازات "حلقة براغ اللغوية" أيضا ما جاء به "جاكسون" الذي استطاع من خلال نشاطاته العلمية أن يعكس اهتمامات هذه الحلقة بوجه خاص، ومن أهم ما جاء به نظرية وظائف اللغة التي استلهمها من "علم الاتصال"، إضافة إلى "علم النفس اللغوي"، و"الأسلوبية" و"الإنشائية".

### علم الأصوات:

إن الصوت ظاهرة فيزيائية عامة الوجود في الطبيعة، ويتمثل الصوت اللغوي في مجموع الأصوات التي تخرج من الجهاز الصوتي البشري، والتي يدركها السامع بواسطة جهازه السمعي المتمثل في الأذن وما يكونها، والصوت هو الركيزة، والمقوم المادي للسان، وهو حد التحليل اللغوي ومادته، ونهايته، وأصغر قطعة في النظام اللغوي. وعناصر الصوت اللغوي فيزيائية: بما أنه صوت، فيزيولوجية: لأنه يصدر من الجهاز الصوتي البشري، نفسانية صوتية: لأنه مدرك بكيفية خاصة.

عرف "الدرس الصوتي الحديث" مصطلحين رئيسين هما "الفونتيك" *phonétique*، و"الفونولوجي" *phonologie*، فكانا مدار اختلاف الدارسين منذ مطلع هذا القرن، فمنهم من أعطى مفهوم الأول للثاني، أو العكس، ومنهم من جعلهما بمفهوم واحد، إذ لا فرق بينهما، وحين دخل مصطلح "الفونتيك" درسنا اللغوي العربي أبقاه بعض الدارسين دخيلا، فقالوا "فونتيك" دون تعريب، وغالبا ما كان يقرن بكتابته بالأحرف اللاتينية؛ الفرنسية *phonétique*، أو الإنجليزية *phonetics*، مع شرح لمدلوله بالعربية، ثم استقر الأمر في النهاية عند معظم الدارسين على جعل "الفونتيك" دراسة الأصوات التي تجري في الكلام من حيث هي حركات عضوية مقترنة بنغمات صوتية "علم الأصوات"، أما "الفونولوجي" فهو دراسة "السلوك الأصوات"، في مواقعها، أكثر مما هو دراسة للأصوات في حد ذاتها، لأنه يعنى بتجاورها، وارتباطاتها، ومواقعها، وكونها في هذا الحرف أو ذاك، وإمكان وجودها في هذا المقطع أو ذاك، وكثرة ورودها، وقتها، ودراسة الظواهر الصوتية "كالنبر"، و"التنغيم"... الخ، وهنا يكاد يجمع الباحثون على أن يكون الفونولوجي علما دالا على دراسة وظائف الأصوات، وليس غريبا إذا تداخلت مصطلحات العلمين لأن هدفهما واحد ومسعاها مشترك.

### نظرية الفونيم:

<sup>1</sup> جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط01، 1980 م، ص 117.

معلوم أن الوحدة الأساسية لعلم الأصوات هي الصوت المفرد، وقد اختلف الدارسون كما اختلفوا في تحديد مفهوم "الفونتيك" و"الفونولوجي" حول مفهوم "الفونيم"، فذهبوا في ذلك مذاهب شتى<sup>1</sup>، إذ "يمكن أن توصف أصوات لغة ما من خلال وجهات نظر متباينة، حسب خواصها المادية، التي يمكن قياسها، وملاحظتها علمياً، أو حسب ورودها (توزيعها) في نصوص لغوية، أو حسب وظيفتها في نصوص لغوية"، ومن هنا نشأ الاختلاف في تعريف الفونيم، ومن أصحاب هذه التعريفات:

**أصحاب النظرة العقلية:** وهم الذين اعتبروا الفونيم صوتاً مفرداً، له تجريد ذهني، أو صورة ذهنية يستحضرها المتكلم إلى عقله بالإرادة، وينطقها في الكلام بلا وعي، فينجح مرات في تحقيق صورة الصوت بالنطق، ويفشل مرات أخرى. من أعلام هذه النظرة "كورتيني" *"Jan Niecisław Ignacy Baudouin de Courtenay"*<sup>2</sup>.

**النظرة العضوية التركيبية:** يعترف أصحاب هذه النظرة بعبارة (عائلة أصوات)<sup>3</sup>، لأن "الفونيم" في نظرهم يعني "الحرف"، فهو عائلة من الأصوات التي يعتبر كل منها عضواً من العائلة، مثل النون في العبارات: إن شاء الله، انبثق، إن قال... **النظرة الوظيفية التركيبية:** يحدد أصحاب هذه النظرة الفونيم في ضوء وظيفته التركيبية في اللغة، وفي مقدمتهم "تريتسكوي" الذي يعتبر "الفونيم" هو الوحدة التي تحقق خلافاً صغرى تتميز من خلالها الكلمات عن بعضها البعض. من أعلام هذه النظرة "بلومفيلد" *"Leonard Bloomfield"*.

لقد أخذ الكثيرون من باحثي "حلقة براغ اللغوية" في دراسة القوانين التي تحكم بنية النظم الصوتية، ويعد هذا الاستكشاف من أهم المكاسب العلمية التي أسهمت فيها "حلقة براغ اللغوية"، فلم يكتفوا بوصف الأصوات اللغوية، وتحديد مخارجها، بل راحوا يكتشفون العلاقات التي تربطها ببعضها البعض داخل النظام اللغوي، ويحددون منزلتها منه، للوصول إلى الوظيفة المنوطة بالصوت في عملية التبليغ<sup>4</sup>.

ولعل "تريتسكوي" من أشهر علماء "حلقة براغ اللغوية" عناية بتطوير مفهوم "الفونيم"، وهو ما جعله يولي أنواع التضاد الفونولوجي أهمية كبيرة، حيث إن الفونيم - في نظره - هو مفهوم وظيفي قبل كل شيء، وتحدد وظيفته بمقابلته بالفونيمات الأخرى، وأنواع التضاد حسب ما ورد عنده سبعة هي: التضاد السالب، التضاد التدريجي، التضاد المتكافئ، التضاد الشائئي، التضاد متعدد الجوانب، التضاد المتناسب، التضاد الممكن تحييده.

### مبادئ "حلقة براغ اللغوية"

<sup>1</sup> ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 227، 228، وينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 237، 238.

<sup>2</sup> محمد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، جامعة فار يونس، بنغازي، ليبيا، 1976 م، ص 255.

<sup>3</sup> صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1981 م، ص 62.

<sup>4</sup> ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1985 م، ص 150، 151، 152.

عنيت "مدرسة براغ" بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة، ومن أهم مبادئها ما يلي:

### أولاً: المبادئ الجمالية:

لعل اللساني "جان موكاروفسكي" *Jan Mukařovský* " كان أهم من وضع المبادئ الجمالية للمدرسة، والتي تتلخص فيما يلي:

**الفن وطبيعته السيميولوجية:** يقوم هذا المبدأ على أنّ فهم علم الجمال البنيوي يكون في إطار مذهب "علم السيميولوجيا" *Sémiotique*، ولم يبق الأمر قاصر على الأدب، بل تعدى إلى دخول تحليلات اجتماعية ونفسية، وأصبح شاملاً لما يسمى بشخصية الفنان، والبيئة الداخلية للعمل الفني معاً، دون إهمال علاقة الفن بالمجتمع وقد نادى "موكاروفسكي" بضرورة دراسة مشكلات الرمز، والعلامة ودلالاتها، ومنه فعلى "علم الجمال" أن يتناول الأعمال الفنية كمركز، وبنية، وقيمة في الوقت نفسه.

**دور الفاعل في الفكر الوظيفي:** يرى "موكاروفسكي" أن الفاعل الذي يظهر في جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يتجسد في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف، وعليه فالبنوية الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل، الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها، كما توضحها بنية العمل الفني نفسه.

**خواص الوظيفة الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى:** يرفض لغوي "حلقة براغ اللغوية" تبعية الفن للتطور الاجتماعي، رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيراً على الأبنية الفنية، لأن هذا التأثير خاضع لعوامل جمالية منبثقة من الفن في حد ذاته، وهي التي لا تسمح بقيام علاقة سببية بين الفن، والمجتمع، فالنظام الاجتماعي لا يولد بالضرورة شكلاً معيناً من الإبداع الفني، وعليه يجب أن يوضع في الاعتبار قطاعين من الواقع أولهما: واقع الرمز، أو العلامة، وثانيهما: الواقع الذي يشير إليه هذا الرمز، واتحادهما هو الذي يمثل الفن، لذا حرصوا على استقلالية الرمز، وقدرته التواصلية في حدود السياق الاجتماعي، ومقتضياته السياسية، والاقتصادية، والفلسفية لبنية اجتماعية معينة.

مع أن "الحلقة" اشتهرت في ميدان اللسانيات بدراساتها الصوتية الدقيقة، إلا أنها اهتمت بلغة الشعر والأدب بصفة عامة، وامتدت إلى مجالات اجتماعية، وفلسفية، ونفسية، ومن أهم مكاسبها:

1. دعوتها إلى تطوير فكرة تعدد الوظائف للوحدات البنيوية .
2. اعتمادها على بعض العناصر الرياضية في تحليلاتها، ولم تعد تقتصر على ما يلاحظ في الواقع مباشرة، بل ركزت على العلاقات التجريدية النظرية، وما يمكن أن تسفر عنه من علاقات فرضية<sup>1</sup>.

### ثانياً: المبادئ اللسانية:

من أهم المبادئ اللسانية ما يلي:

<sup>1</sup> نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 89، 90.

- 1- تصوّر المدرسة عملية التطور اللغوي على أنها كسر لتوازن النظام القائم، وإعادته مرة أخرى، "فجاكسون" يرى أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي للوصول إلى القدرة التعبيرية للقول الانفعالي، وأن للطاقة التعبيرية للأصوات دورا مهما في ادخال تعديلات مهمة على الكلمات، والأنظمة السياقية، والموسيقية .
- 2- تتصور المدرسة أن البنيوية اللسانية كلّ شامل، تنتظمه مستويات محددة.
- 3- ترى أن العناصر اللسانية، والعلاقات القائمة بينها متعايشة ومترابطة، ولا يمكن فصلها.
- 4- ترى أن اللسانيات البنيوية تتصور الواقع على أنه "نظام سيميولوجي" رمزي وتميز بين اجراءين مختلفين أولهما: التقاط العناصر الواقعية المحددة والذهنية المجردة، وإمكانية التعبير عنها من طرف المتحدث بكلمات من اللغة التي يستخدمها، وثانيهما: وضع العلاقة المختارة التي تشكل كلا عضويا ( الجملة )، ويمكن أن تقوم الكلمة مكان الجملة للتعبير عن الهدف نفسه.
- 5- دعت المدرسة إلى ضرورة بحث المعالم البنيوية لدلالة الكلمات المعجمية، ورأت أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة، إنما هو نظام تتناسق في داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها<sup>1</sup>.

### منهج "حلقة براغ اللغوية"

على الرغم من التباين المنهجي بين المنهجين التاريخي والوصفي إلا أنهما يتفقان على أن اللغة يجب أن تدرس باعتبارها نظاما تتحرك به الألسنة بطريقة معينة، لتتمكن من التواصل، إلا أن أعضاء "حلقة براغ اللغوية" يرون أن "المنهج التاريخي" لا يجدي نفعا في هذا المجال، لأنه يقتصر على عرض تطور اللغة، وتغيّر عناصرها عبر التاريخ، ولا يمدنا بما تفهم به نظامها، ويعدون لذلك اللغة نظاما لا يمكن الفصل بين عناصره انطلاقا من مبدأ "دراسة اللغة في ذاتها ولداتها"، وعليه فإن منهجهم ينطلق من تحديد اللغة باعتبارها نظاما وظيفيا يهدف إلى تحقيق "التواصل والتعبير"، الذي يقتضي أن تحمل العناصر اللسانية شحنة إعلامية.

وإذا كان "التحليل الوصفي" للوقائع الحالية التي تقدم بيانات كاملة عن هذه اللغة، أفضل طريقة لمعرفة جوهرها، وخواصها المميزة فإنه ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار تصور اللغة كنظام وظيفي عند دراسة حالات لغوية ماضية، وعليه فالدراسة التاريخية لا يمكن أن تحمل فكري النظام والوظيفة، كما أن الوصف لا يمكن أن يلغي فكرة التطور، إذن لا يمكن الفصل بين المنهجين التاريخي والوصفي.

يعد برنامج "حلقة براغ اللغوية" اسهاما في لون جديد يتصل بأهداف النظرية اللسانية، وقد وجه أنظار اللسانيين إلى ميادين من البحث اللساني لم تظهر إلا في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ويتمثل فيما يلي:

- 1- التركيز على دراسة الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في الاتصال ( كفيته، ومناسبته ولمن يوجه ) لأنّ اللغة - بالدرجة الأولى - نظام "للاتصال والتعبير" من أجل الرقي، والتفاهم المشترك.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

- 2- اللغة حقيقة واقعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجية، بعضها يتعلق بالسامع، والآخر يتعلق بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال أو الكلام وهكذا يكون من الضروري التمييز على المستوى النظري والعلمي بين لغة "الثقافة" بصفة عامة، ولغة "الأعمال الأدبية"، و"المجلات العلمية"، و"الصحف"، و"لغة الشارع"... إلخ.
- 3- على البحث اللساني أن يحيط بالعلاقة بين "البنية اللسانية"، و"الأفكار"، و"العواطف"، التي توصلها هذه البنية، لأن اللغة تتصل بكثير من المظاهر العقلية، والنفسية للشخصية الإنسانية.
- 4- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة لا تتطابقان، فلكل منها خصائصها المميزة، ومن ثمة فإن العلاقة بينهما تحتاج إلى دراسة علمية.
- 5- يجب أن يتجه البحث الفونولوجي إلى دراسة "التقابلات الفونيمية"، ولا ينبغي فصل "الظاهرة المورفولوجية" عن الظاهرة الفونولوجية.
- 6- إعطاء الأولوية للبحث الوصفي لما له من تأثير على الواقع اللساني الفعلي، دون استبعاد الدراسة التاريخية، لأنّ النّظام اللّساني الكامل لا بد أن يكون تاريخياً في ضوء الوصفية.
- 7- المنهج المقارن في اللغة يجب أن يتخلص من محدودية الملاحظة، وعليه يمكن الباحثين من بناء أنماط مميزة للغات<sup>1</sup>.
- ويتولى "جاكسون" في إطار "حلقة براغ اللغوية" تنمية "الاتجاه البنائي" في دراسة الصوتيات مشيراً إلى أنه لا بد أن يقوم على منهج متكامل غير منعزل؛ إذ أن كل حدث صوتي يعالج على أنه وحدة جزئية تنتظم مع وحدات أخرى في مستويات مختلفة، ومع أن "حلقة براغ اللغوية" قد اشتهرت في تاريخ "علم اللغة" بدراساتها الصوتية الدقيقة إلا أن دراسات كثيرة من نصوصها الأساسية تشمل بحوثاً في "لغة الشعر"، ومن أهم معالمها<sup>2</sup>:
- 1- لا بد من وضع مبادئ وصف "لغة الشعر" من مراعاة طابعها الثابت، وذلك لتفادي خطأ شائع في الخلط الدائب بينها، وبين لغة التواصل، والتفاهم، والحديث العادية.
- 2- من خواص اللغة الشعرية أنها تبرز عنصر الصراع، والتعديل بدرجات متفاوتة، وكلما اقتربت "لغة الشعر" من لغة التفاهم تعارضت مع التقاليد الشعرية، وكلما توطأت مع هذه التقاليد ابتعدت عن حيوية الحدث العفوي.
- 3- أن المستويات المختلفة للشعر من صرفية، وصوتية، ونحوية، وبلاغية... إلخ، ذات صلات حميمة فيما بينها؛ إذ يستحيل عزل أحدهما عن سواه كما تفعل عادة بعض الدراسات الأدبية.
- 4- تعبير القيم الصوتية في "لغة الشعر" هي نقطة الانطلاق في وصف "البنية الشعرية".
- 5- تتميز "لغة الشعر" بوضوح مراتب قيمها، ويعتبر الإيقاع هو المبدأ المنظم للعناصر الصوتية الأخرى، وهي بنية النغم، وتشكيلات الحروف في مقامات موسيقية.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136، 137.

<sup>2</sup> جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص 130 وما بعدها.

6- إن الوسيلة الوحيدة لدراسة مستويات "لغة الشعر" بطريقة فعالة تتمثل في رسم شبكة توازي أبنيتها المختلفة مثلاً: فتأثر القافية لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوتي؛ إنما نجد وثيق الصلة بالنظم الصرفية، والنحوية... إلخ.

7- المبدأ الأساسي في "فن الشعر" الذي يميزه عن أنظمة اللغة الأخرى أن القصد فيه يرتكز لا على الدلالة، وإنما على الرمز في نفسه على التعبير في ذاته.

زد على ذلك فإن من أهم مبادئ "حلقة براغ اللغوية" اعتبارها للغة كجهاز وظيفي ونظام يتكون من وسائل تعبيرية تؤدي وظيفتها في تشجيع الفهم المتبادل فغاية اللغة عند "حلقة براغ اللغوية" هي تحقيق ما ينوي الفرد إيصاله؛ أي: التواصل وفي نظرتها للغة حقيقة واقعية؛ أي: أنها ظاهرة فيزيائية بمعنى أنها ذات واقع مادي ونمطها محكوم بعوامل خارجية غير لغوية وهي البيئة الاجتماعية، وبعض تلك العوامل يتصل بالسامع، وبعضها يتصل بالموضوع الذي يدور حوله الكلام .

فهم من هذا أن "المدرسة الوظيفية" أو "حلقة براغ اللغوية" تتخذ المعنى مقياساً في تحليلها للنصوص اللغوية، وتعتبر أن المعنى يتغير بتغير اللفظ، وهذا يستدعي شيئين في الحقيقة إذا تغير المعنى فلا بد أن يتغير اللفظ، وإذا ثبت على حال واحدة فلا بد أن يثبت المعنى، وتكمن نظرة "المدرسة الوظيفية" للمعنى من خلال الاهتمام بمكونات العلامة، وعلاقة طرفيها ببعضها ببعض، والتركيز على الخصائص الصوتية المميزة في العلامة اللغوية؛ وهي خصائص ذات ارتباط بجانب المعنى<sup>1</sup>، أو تركيز النظرية على بعض مشكلات الدلالة المتمثل تحديداً في تحكيمه للمعنى لاسيما إذا انتقلنا من لسان إلى آخر لأن الترجمة ليست استبدال قوالب بقوالب أخرى تختلف عنها شكلياً وتقطيعاً، إنما هي عملية دلالية محظرة<sup>2</sup>؛ إذ أنها تقتضي كما يقول "مارتينيه" أن يتصل الإنسان من سيطرة اللغة المنقول إليها، والتي تمارس ضغوطها عليها باعتبار أن اللغة ليست قوالب تعبيرية، أو أشكالاً صوتية؛ إنما هي قوالب تتضمن فكراً، وثقافة، ورؤية اجتماعية لمختلف أبعاد الكون .

### مخلص مما سبق

أن علماء "حلقة براغ اللغوية" التقطوا مشعل الدراسات اللغوية الحديثة الذي صب "دي سوسير" زيتها، ونسجت "المدرسة الشكلية" خيوطها، فلئن كان زعيم هذه الحلقة هو "ماثيسوس"، فإن المحرك الأساسي لها هو مؤسس "المدرسة الشكلية الروسية" نفسه "رومان جاكسون"، الذي ذهب أولاً إلى "براغ" "كملحق ثقافي"، ثم سرعان ما أدرك أن المناخ السائد في وطنه الأصلي سوف ينتهي بخنق نظرياته المستقلة، فأخذ ينفث دعوته في الأوساط اللغوية، وجعل يطبق بعضاً من مبادئ الشكلية على مشاكل "الشعر التشيكي"، فكتب له النجاح في حلها، فضلاً عن الأثر الكبير

<sup>1</sup> جوليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني ومنير التركي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ص 255.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996 م، ص 117، 118.

الذي تركه مؤلف "دي سوسير" محاضرات في اللسانيات العامة" على بزوغ نجم هذه الحلقة اللسانية، التي شرعت تعقد ندوات منتظمة، وتوجهها ببحوث في اللسانيات الوظيفية على وجه الخصوص.

ولعل ما يميز هذه "المدرسة" نظرتها إلى نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة "الصوتية"، و"الصرفية"، و"النحوية"، والدلالية"، ودراسته دراسة وظيفية محضة، وهذا ما جعلها تختلف عن باقي المدارس اللسانية الأخرى؛ فهي تنطلق في وصفها للغة من "الوظيفة"؛ إذ ترى أنها نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات، في حين يذهب "دي سوسير" إلى القول بأنها نظام من العلامات، ليصل الاثنان إلى العلامة كحد نهائي للغة .

أخذ كثير من باحثي حلقة براغ في دراسة القوانين التي تحكم بنية النظم الصوتية ويعتبر استكشاف هذا الميدان من أهم المكاسب العلمية التي أسهمت فيها الحلقة، خاصة وأنها استطاعت أن تتجاوز المرحلة الجزئية فنجد أحدهم يؤكد أنه إذا كنا نستطيع أن نصل إلى القوانين الصوتية عن طريق التجريبي استقرائي فإن بوسعنا أن نتعرف عليها أحيانا عن الطريق الاستنتاجي المنطقي وهذا يضفي عليها طابعا مطلقا ويرى أن السبب في ذلك هو " خضوع علم الأصوات للبنائية العلمية المنتظمة فالعصر الذي نعيش فيه يتميز باتجاه الواضح في جميع العلوم، واستبعاد النزعة الجزئية وإحلال النزعة البنائية محلها وعلى هذا فإن علم الصوتيات لا يمثل ظاهرة منعزلة وإنما يشكل جزءا من حركة علمية عامة"

#### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد محمد قدور، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996 م.
3. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1985 م.
4. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
5. أندري مارتينييه، مبادئ ألسنية عامة، ترجمة: رمون رزق الله، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1990 م.
6. بيار جيرو، السيمياء، ترجمة أنطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1984 م.
7. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط 01، 1980 م.
8. جوليان براون وجورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني ومنير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.
9. جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.
10. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م.

11. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000 م.
12. رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 1988 م.
13. رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م.
14. سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م.
15. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2004 م.
16. صلاح الدين صالح حسنين، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1981 م.
17. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م.
18. الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، الجزائر، 2001 م.
19. عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل، دار هومة، الجزائر، 2000 م.
20. عبد السلام مسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، ط 03.
21. عبد القادر المهيري وآخرون، أهم المدارس اللسانية، منشورات المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، 1986 م.
22. محمد مصطفى رضوان، نظرات في اللغة، جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، 1976 م.
23. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
24. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م.
25. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م.

## المصادر باللغة الأجنبية:

1. *André Martinet, La linguistique synchronique, PUF, Paris, France, 1970.*
2. *Francois Dosse, History of Structuralism: The Sign Sets, University of Minnesota Press, USA, May, 1997.*
3. *John Lyons, Linguistique générale, traduction de F Dubois Charlier et Drobinson, Larousse, Paris, France, 1970.*

المحاضرة السادسة

مدرسة كوينهاغن

## توطئة:

تطور البحث اللساني في القرن العشرين على أيدي أنصار "اللسانيات البنوية" "linguistique structurale"، فكانوا يتطلعون إلى مناهج جديدة تسير الاتجاهات الأخرى العامة السائدة في العلوم، وعليه فقد اكتسبت لسانيات النصف الأول من القرن العشرين سميتها الخاصة، وسادت نظرتهم الجديدة إلى الظواهر اللغوية، لكن هذا لا يعني أن اللسانيات التقليدية قد اضمحلت، أو انتهت، زد على ذلك أن "الصوتيات" "Phonétique" شهدت بوصفها أبسط العناصر اللسانية، وأكثرها قابلية للبحث ازدهارا كبيرا؛ ذلك أن الأصوات هي العنصر المادي المحسوس الوحيد في اللغة، أما المعاني فهي مجردة، وشكلت حقلا بكرة ملائما لبناء النظريات.

كما أكدت "البنوية" "Structuralisme" ضرورة الفصل بين الدرس الآني "التزامني" "synchronique"، والدرس التاريخي "التعاقبي" "diachronique"، بعد أن كان النحو التاريخي والمعاصر متداخلين، وزاد الاهتمام في القرن العشرين باللغات "غير الهندوأوروبية"، وتوافرت بين أيدي اللسانيين مادة خصبة من تلك اللغات التي تتميز باختلاف بنيتها عن اللغات "غير الهندوأوروبية"، وصرف البنيويون جل اهتمامهم إلى إقرار الدراسة الوصفية اللسانية في المراحل الأولى، لذلك ذهب بعض الدارسين إلى اتهامهم بإهمال الدراسة التاريخية للغة، لكن الواقع يثبت عكس ذلك، فإذا كان هؤلاء البنيويون قد اهتموا اهتماما كبيرا بالمنهج الوصفي، فذلك لأنهم كانوا يصدد ترسيخ هذا المنهج وإقراره، لكن تاريخ اللغة لديهم اكتسب محتوى مختلفا، فعلى تاريخ اللغة - في رأيهم - أن يفسر التطور اللغوي في مجمله، وأن يدرس أسباب هذا التطور، أو التغيير اللغوي.

كما حظي "علم اللهجات" "Dialectologie" باهتمام اللغويين في بداية القرن العشرين، كما بلغ علم الدلالة طور النضج في هذا القرن، وكذلك شهدت اللسانيات النفسية "Linguistique psychologique" (علم اللغة النفسي "Psycholinguistique") إنجازات كبرى، إلى جانب النحو المنطقي، أو العقلائي، أو التوليدي، كما توسع مفهوم الدراسات الفيلولوجية "Philologie"، فشملت التاريخ الثقافي للغة، ودراسة العامية، والأدب الشعبي، وهكذا اكتسبت "البنوية" انتشارا واسعا، وأضحت فكرة البنيويين أن اللغة نظام تواصل يبغي على الباحثين أن يفحصوا بنيته، من المسلمات التي لا يمكن للساني أن يتجاوزها، وأعرض كثير من البنيويين عن معالجة القضايا اللسانية التقليدية التي كانت قد ازدهرت من قبل، وأضحى التعاون المكثف بين اللسانيين والعلماء في المجالات المعرفية الأخرى سمة بارزة من سمات المنهج البنيوي، فلجؤوا إلى اقتباس مناهج العلوم الأخرى وطرائق البحث فيها<sup>1</sup>.

"اللسانيات البنوية" هي علم يقوم على أساس أن تحليل أي عنصر من عناصر اللغة لا يتم بمعزل عن بقية العناصر في النظام اللغوي، وهي نظرية تطبق المنهج الوصفي في دراسة اللغة، فتتأمل إليها على أنها وحدات صوتية تتجمع لتكون وحدات مورفولوجية (صرفية) لتكون هذه بدورها عبارات، وتراكيب، وجملا، "اللسانيات" تطورت عبر مراحلها التاريخية،

<sup>1</sup> ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م، ص 101.

والتعاقبة، وأصبحت علما أساسيا يعتمد على المناهج العلمية الحديثة، وما كان لهذا العلم أن يصل الى هذا التطور لولا جهود علماء كبار أفنوا حياتهم في سبيل البحث، والدراسة عبر مدارس لسانية لها روادها، ومنهجها، ومبادئها. بلغت "اللسانيات البنيوية" أوجها في الفترة الواقعة بين ( 1925 م - 1950 م ) وبذلك نستطيع القول إن المدارس اللغوية منذ "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure" وحتى "نعوم تشومسكي" "Noam Chomsky" تنتمي إلى "اللسانيات البنيوية" بصورة أو بأخرى، لأنها جميعا تؤمن بأن اللغة عبارة عن نظام من العلاقات، وتعود البنيوية في اللسانيات إلى ما قبل عام 1930 م في "أوروبا"، و"الولايات المتحدة"، وتعني البنيوية منهجا جديدا في تناول حقائق معروفة بالنظر إلى وظيفتها في النظام، كما تنظر إلى الوظيفة الاجتماعية في اللغة ( الوظيفة التواصلية ) فاللغة ظاهرة اجتماعية وظيفتها التواصل والتفاهم المتبادل، إلى جانب التمييز بين الجوانب التاريخية، وخصائص النظام اللغوي في لحظة زمنية محددة، ولعل من أهم التيارات البنيوية الحديثة في اللسانيات، "مدرسة كونهاجن اللغوية" وقد عرفت هذه المدرسة باسم "الغلوسيماتيكية" "Glossematics" التي اعتمدت "المنهج التحليلي، والاستنباطي"، وقد درست اللغة أيضا على أنها صورة "forme" وليست "مادة" "substance"، واعتبرت اللغة حالة خاصة من "النظام السيميائي" "système sémiologique".

#### التعريف بالمدرسة ( النشأة والتطور ):

ظهرت "مدرسة كونهاجن اللغوية" في مطلع القرن العشرين عام 1933 م متأثرة بالمفاهيم الجديدة التي جاء بها "دي سويسر"، ومقرها "كونهاجن" "Copenhagen" "بالدانمارك" "Danemark"، وتعتبر هذه المدرسة من أهم "التيارات البنيوية الحديثة" في اللسانيات، وقد عرفت هذه المدرسة "الغلوسيماتيكية" "Glossematics" <sup>1</sup>، وتسمى "مدرسة كونهاجن اللغوية" أيضا "بمدرسة اللغويات الرياضية" <sup>2</sup>، أو "مدرسة السوسيريين الجدد" لأنها تقترب كثيرا من وصفية "دي سويسر"، وقد تأسست "مدرسة كونهاجن اللغوية" على يد "لويس هيلمسليف" "Louis Hjelmslev"، و"راسموس فيغو برونالد" "Rasmus Viggo Brøndal" <sup>3</sup>، وظهرت مجلتها "مجلة كونهاجن اللغوية" "Travaux du Cercle Linguistique de Copenhague" عام 1934 م، وكان مجال نشرهم فيما بعد هي أعمال "حلقة كونهاجن اللغوية"، بالإضافة إلى ذلك فقد اشتركتنا مع "مدرسة براغ اللغوية" منذ 1939 م في نشر مجلة "أعمال لغوية للمجلة الدولية لعلم اللغة البنيوي" "Revue internationale de linguistique structurale".

<sup>1</sup> حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 02، 2000 م، ص 231.

<sup>2</sup> ينظر: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 62.

<sup>3</sup> السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الازهرية، القاهرة، مصر، 2008، ط 01، ص 78.

حاول أصحاب هذه المدرسة التجديد في طريقة دراسة اللغة، والإعراض عن الأساليب التقليدية، واعتماد الدراسة العلمية، وقد وظفوا المصطلحات الغربية في بحثهم اللساني، وصاغوا العناصر اللغوية في شكل رموز جبرية ذات سمة رياضية، واستعملوا التراكيب اللغوية في شكل معادلات رياضية الأمر الذي ترتب عليه ردة فعل قوي من اللسانيين، والمفكرين، والفلاسفة<sup>1</sup>، هذه الجماعة انتشرت دراستها بأكثر من لغة فمنهم من نشر "بالإنجليزية"، و"الفرنسية"، و"الألمانية"، لقد قامت هذه المدرسة على كثير من مبادئ "مدرسة جنيف اللغوية" ثم "مدرسة براغ اللغوية" لكن أهم ما يميزها أنها حصرت الدراسات اللغوية في مجال "علم الرموز" "symbologie"، وأهملت الأصوات والمعاني، ونظرت إلى اللغة على أنها كيان صوري مجرد مستقل، يخضع لنسق من العلاقات الداخلية يمكن دراستها بنوع من المعادلات الجبرية للوصول إلى أحكام لغوية جديدة عامة.

ولعل من أهم هذه المبادئ التي قامت عليها "مدرسة كونهاجن اللغوية"<sup>2</sup>:

الأول: اللغة ليست "مادة"، وإنما هي "صورة" أو "شكل".

الثاني: جميع اللغات تشترك في أنها تعبر عن محتوى.

الثالث: يوضع لتحليل اللغة نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات.

الرابع: تقوم على النقد الحاد للسانيات التي سبقتها وحدت في نظرها عن مجال اللغة بانتصاها خارج الشبكة اللغوية.

الخامس: تقوم على النسقية التي تنصب على داخل اللغة فهي تصدر منها.

من خلال هذه المبادئ نستنتج أن اللغة من منظور هذه المدرسة لها جانبان: "اللفظ، والمعنى" وكلاهما له شكل وجوهر؛ فشكل المعنى هو "علم النحو"، وجوهره "علم الدلالة"، وشكل اللفظ هو "علم الصوتيات"، وجوهره "علم الفنولوجيا"، فبدلاً من أن نقول في اللغة العربية مثلاً: إن حرف الجر يختص بالأسماء، نقول: إن ظهور حرف الجر في جملة ما، لا بد أن يصاحبه ظهور الاسم، وبدلاً من أن نقول: إن الصفة تتبع الموصوف في الإعراب والعدد والنوع، - ومعنى هذا أن ظهور أي عنصر لغوي يحكمه ظهور عنصر لغوي آخر - ، تأتي الصياغة الرياضية الصورية لهذا القانون، فنقول مثلاً: إن ظهور العنصر "س" في تركيب ما يؤدي إلى ظهور العنصر "ص"، أو العكس.

إذا هذه النظرية تتعامل مع عدد من العلامات القائمة على عدد من العناصر اللغوية، التي يعبر عنها "رياضياً"، حيث تمزج بين علمي "اللغة" و"المنطق" بصورة تجريدية، وعلى الرغم من هذا فإن هذه النظرية لم تقدم إلا عدداً ضئيلاً من التصنيفات اللغوية وقد عاب اللغوي الإنجليزي "فيرث" "John Rupert Firth" هذه النظرية، ووصفها بأنها نظرية مجرة منطقية، ومن هذا المنطلق لم تحظ تعاليم "مدرسة كونهاجن اللغوية" بالانتشار، ولم يكتب لأفكارها، ومقولاتها الذبوع، لغرابتها، وغرابة ما يعبر عنها من المصطلحات، ومعنى هذا أن نظرية "مدرسة كونهاجن اللغوية" هي محاولة

<sup>1</sup> جرهارد هليش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003 م، ص 61، 62.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 158، وينظر: السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 109.

لإنشاء بناء منطقي رياضي، يستند إلى جهاز من التعريفات والمصطلحات، وقد أضفى عليها هذا التصور الجديد للغة ضرباً من الصعوبة، فلم يحالفها الحظ في الانتشار، على نحو ما انتشرت مدرسة "جنيف"، و"موسكو"، و"براغ".

### أقطاب "مدرسة كوينهاغن اللغوية"

عرفت هذه المدرسة "بجماعة كوينهاغن"، وهم نخبة من اللسانيين الذين أسهموا بشكل فعال في تطور الدرس اللساني في الربع الأول من القرن العشرين، وتعرف هذه المدرسة أيضاً "بالسوسيرية المحدثّة"<sup>1</sup>، وتميل كذلك إلى التجريد والتحليل المنطقي باستخدام الطرق الرياضية، وهي مدينة لتعاليم "دي سوسير" والمنطق الرمزي<sup>2</sup>. ولعل من أهم رُؤاد هذه المدرسة هم اللغويون الدانماركيون على نحو: "لويس هيلمسليف" "Louis Hjelmslev"، و"راسموس فيغو برونالد" "Rasmus Viggo Brøndal"، و"ينس أوتو هاري يسبرسن" "Jens Otto Harry Jespersen"، و"هولغر بيدرسن" "Holger Pedersen".

### لويس هيلمسليف

"لويس هيلمسليف"<sup>3</sup> "Louis Hjelmslev" عالم لسانيات دنماركي، وَضَعَت آراؤه الأساس لما عُرف بـ"مدرسة كوينهاغن اللسانية"، وهو سليل عائلة من "الأكاديميين"، ولد في العاصمة "كوينهاغن" "Copenhagen" - عاصمة الدنمارك "Danemark" - يوم 03 أكتوبر 1899 م، ودرس اللسانيات المقارنة في جامعتها، ثم في "براغ" "Prague" "بجمهورية التشيك"، و"باريس" "Paris" "بفرنسا"، حيث كان من زملائه في الدراسة، "جوزيف فنديرس" "Joseph Vendryès" أسهم في عام 1931 م في تأسيس "حلقة كوينهاغن اللسانية" "Cercle Linguistique de Copenhagen" اقتداءً "بحلقة براغ اللغوية" "Cercle Linguistique de Prague"، وكان ذلك بالتعاون مع "راسموس فيغو برونالد" "Rasmus Viggo Brøndal" الذي طوّر معه نظرية جديدة في اللغة أطلق عليها تسمية "الغلوسيماتيكية" "Glossematics" وهي مصطلح مشتق من الأصل اليوناني "glossa" بمعنى "لسان" أو "لغة" والجذر "glosseme" وهو أصغر وحدة ذات معنى في أي لغة من اللغات، قد يكون كلمة، أو جذراً، أو عنصراً نحويّاً، أو عنصراً نبراً، وهدف هذه النظرية المتأثر ببنوية "حلقة براغ اللغوية" هو تطوير منظومة تحليل لغوي يعتمد على توزيع

<sup>1</sup> عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 23 .

<sup>2</sup> إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 25.

<sup>3</sup> ينظر إلى ترجمة "يلمسيف" في:

ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ص 247، وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 116، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 157 وما بعدها، وينظر: السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 79، وينظر: هيام كردية، معجم أعلام الألسنية في الغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2011 م، ص 224 / 226.

Butler Christopher, Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories, john benjamins publishing company, Amsterdam, Pays-Bas, 2003, part 1, p 121 / 124.

هذه الوحدات وعلاقتها الداخلية<sup>1</sup>، و"لويس هيلمسليف" هو ابن عالم الرياضيات "يوهانس هيلمسليف" "Johannes Hjelmslev" "1873-1950"، ولعل هذا ما دعاه إلى إدخال عمليات علمية رياضية في التحليل اللساني، و"لويس هيلمسليف" بهذا الإجراء حاول عصنة الدراسات اللغوية باستخدام مناهج علمية رياضية.

ويعد "لويس هيلمسليف" صاحب النظرية البنوية التحليلية ( الرياضيات اللغوية ) تتلمذ في "باريس" على يد اللساني الفرنسي "أنطوان ميه" "Antoine Meillet" "1866 م / 1936 م" الذي اتسمت أعماله بالالتزام الصارم بمبادئ "فقه اللغة" "philologie" التي تدرس اللغة من الناحية التاريخية بما فيها المقارنة بين اللغات، ودراسة النصوص الأدبية، والتاريخ الثقافي لمجتمع ما، كما تأثر "ميه" هو الآخر بتعاليم "دي سوسير"<sup>2</sup>، نشر "هيلمسليف" في عام 1928 م أول بحوثه المهمة بعنوان "مبادئ النحو العام" "Principes de grammaire générale"، ثم أصدر في الثلاثينيات كتابه الثاني "نوع الحالات الإعرابية" "La catégorie des cas" وهو إسهام مهم في حقل اللسانيات، وفي "نظرية المعرفة" المتعلقة باللسانيات "épistémologie de linguistique"، أما أشهر أعماله فهو "مقدمة في نظرية اللغة" "Les prolegomènes à une théorie de la langue" الذي صدر عام 1943 م انتقد فيه الطرائق السائدة آنذاك في "علم اللسانيات" كونها وصفية أكثر منها منهجية.

ومثله مثل "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure" رأى "هيلمسليف" في اللغة نظاماً من العلامات من حيث الاستخدام اللغوي، لكن اللغة من وجهة نظر عالم اللغة يجب أن تتبدى نظاماً من الأشكال، أو الوحدات المتناهية الصغر، وحدد "هيلمسليف" العلاقة اللغوية بأنها الوحدة الناجمة عن الوظيفة الدلالية، وهي التي تتضمن "شكل التعبير"، و"شكل المحتوى"، وهما مستويان لغويان؛ "فمستوى التعبير" هو المنحنى الخارجي في اللغة؛ أي: الغلاف الصوتي، أو الكتابي ( أو أي غلاف آخر يمكنه احتواء الأفكار والمعاني )، و"مستوى المحتوى" هو الذي يكوّن الآراء التي يعبر عنها بوساطة اللغة<sup>3</sup>، وأخذ كثير من علماء اللسانيات على "هيلمسليف" و"مدرسة كونهانغن اللغوية" أن اللغة صارت لديهم كياناً تجردياً مستقلاً عن الواقع؛ مما يجعلها تغرق في الصيغ والتراكيب الرياضية البحتة، فقد انصرفت نظرية "هيلمسليف" ومعها "مدرسة كونهانغن اللغوية" عن تأمل الوقائع والظواهر المباشرة إلى ملاحظة بنية هذه الوقائع والظواهر؛ مما يجعل منها مجموعة من التصورات الشكلية التي تقتصر على المجال النظري.

توفي "هيلمسليف" "بكونهانغن" يوم 30 ماي 1965 م.

من آراء "لويس هيلمسليف"

<sup>1</sup> ينظر: هيام كردية، معجم أعلام الألسنية في الغرب، ص 225 .

<sup>2</sup> Butler Christopher, Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories, part 1, p 123, 124.

<sup>3</sup> وينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص 117.

يفرق "لويس هيلمسليف" في إطار نموذج الثنائي للعلامات بين الشكل "forme" والمادة "substance" فهو يحدد اللغة بأنها شكل خاص منظم داخل مادتين: "مادة المضمون"، و"مادة التعبير"، وانطلاقاً من موقف "لويس هيلمسليف" يبدو أنه خرج نوعاً ما على مفاهيم "حلقة براغ اللغوية" والتي ترى أن اللغة "شكل" وليست "المادة"<sup>1</sup>. ومن أهم ما جاء به "لويس هيلمسليف" مفهوم "غلوسيماتيك" "glossématique" وهي مصطلح مشتق من الأصل اليوناني "glossa" بمعنى "لسان" أو "لغة والجذر" "glosseme" وهو أصغر وحدة ذات معنى في أي لغة من اللغات، وهذا لتعيين النظرية المستخلصة من نظرية "دي سوسير" التي تجعل من اللغة غاية لذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام، والنظرية هذه تهتم قبل كل شيء باللسانيات، فإذا ثبتت نجاعتها توسع بها إلى العلوم الإنسانية الأخرى، ولكي يمكن قبول نتائجها يجب أن تتفق والتجربة الفعلية، ومع هذا فإن نظرية "لويس هيلمسليف" نظرية بارعة في عمومها، وشمولها، ومداهها، ولكن هذه النظرية لم تطبق حتى الآن تطبيقاً كاملاً على لغة من اللغات، ولا حتى اللغة الدنماركية لغة "لويس هيلمسليف"، وربما كان هذا مما يوحي بأن من الخير أن تعد هذه النظرية نوعاً من الرياضيات الخالصة<sup>2</sup>، من مؤلفاته: "مقدمة في النظرية اللغوية"، و"مقدمة في اللغة"، و"محاولات لسانية".

*Prolégomènes à une théorie du langage*  
*La Structure fondamentale du langage*  
*Le langage*

راسموس فيغو برونالد

"راسموس فيغو برونالد"<sup>3</sup> "Rasmus Viggo Brøndal" عالم، ولغوي، وفيلسوف دنماركي ولد "بكونهاجن" في 13 أكتوبر 1887 م، وتوفي في 14 ديسمبر 1942 م "بكونهاجن"، كان أستاذاً للغات الرومانسية والأدب في "جامعة كونهانغن" "Université de Copenhague"، وكان أيضاً مؤسساً "لحلقة كونهانغن اللغوية". تلقى "بروندال" تعليماً تقليدياً في "علم الفلسفة" لكنه أظهر اهتماماً مبكراً بالمشاكل النظرية، إذ قدم له الفيلسوف الدنماركي "هارالد هوفدينغ" "Harald Hoffding" نظرية وتاريخ الفئات الفلسفية، التي كانت أساس نظريته "لللسانيات التطورية" "Linguistique évolutionnaire"، هذه الخلفية جعلته يتقبل أفكار "قبل البنوية" "Pré structuralistes" (مثل: أنطوان ميه) خلال دراسته في "باريس" من (1912 م - 1917 م)، قرأ كتاب

<sup>1</sup> بريجيت بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 01، 2004 م، ص 161.

<sup>2</sup> جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ص 109.

<sup>3</sup> ينظر إلى ترجمة "راسموس فيغو برونالد" إلى المراجع الآتية:

Patrick Guelpa, *Introduction à l'analyse linguistique*, Armand Colin Masson, paris, France, 1997, P 131.

Larsen, Svend Erik, *Actualité de Brøndal*, Ediciones Larousse, Hachette Livre; Lagardère, paris , France, 1987, p 86.

Per Aage Brandt, *Linguistique et sémiotique: actualité de Viggo Brøndal*, Travaux du cercle linguistique de Copenhague, Danemark, 1989, p 25.

"فرديناند دي سوسير" "دروس في اللسانيات العامة" *Cours de linguistique générale* " مباشرة بعد نشره، حيث كان يراجع النسخة النهائية من أطروحته الموجهة عن "تاريخ اللغة" عام 1917 م؛ واحتوت هذه المذكرة على كثير من أفكار "دي سوسير"، وفي عام 1928 م، تم تعيين "بروندال" أستاذاً "للغات الرومانسية" في "جامعة كونهانغن"، حيث بقي في التدريس حتى سنة 1942 م، وسرعان ما أصبح "بروندال" مع "لويس هيلمسليف" من الشخصيات الرئيسية في "علم اللغة الإنشائية الدنماركية"، وكان "بروندال" على اتصال وثيق مع "حلقة براغ اللغوية" "Cercle *linguistique de Prague*"، وخاصة "رومان جاكبسون" "Roman Jakobson"، وكان من أهم مؤسسي "مدرسة كونهانغن اللغوية" في عام 1931 م.

تعد المشكلة الأساسية التي تناولها "بروندال" في اللسانيات هي العلاقة بين الفكر واللغة، وقد وضع قواعد اللغة التي توحد اللغويات والمنطق على أساس مبادئ "اللسانيات البنيوية الحديثة"، بالنسبة ل"بروندال"، كانت بنيوية "دي سوسير" من أهم الآليات التي ساعدته على شرح أعماله النحوية<sup>1</sup>، ولعل من أهم هذه الأعمال "اللغة والمنطق" عام 1937 م *Langage et logique*، و"اللسانيات البنيوية" عام 1939 م *Linguistique Structurale* وقد أعيد طباعتها في "مقالات في اللسانيات العامة" عام 1943 م، مع بيبلوغرافيا مشروحة من "بروندال" كان من المفترض أن تحتوي قواعده اللسانية على جميع المبادئ لخصم العناصر المحددة للغة على مختلف المستويات، وعلاقتها بالحقائق غير اللغوية، بقدر ما يمكن لتلك العناصر، والعلاقات أن تعبر عن العلاقة بين اللغة والفكر، تحتوي هذه المقالات على كل من القواعد النحوية واللغوية على أربعة أبعاد: "التشكيل"، "التركيب"، "الرمزية"، و"المنطق"، ويغطي البعدان الأخيران التعبير اللغوي والمحتوى اللغوي، على التوالي<sup>2</sup>.

على الرغم من أن "بروندال" من اللغويين البنيويين، إلا أنه لم يدافع أبداً عن فكرة اللغة باعتبارها بنية متماسكة بحتة، إن صورته المفضلة للغة هي كهيكل هندسي نحول به العالم إلى معنى، وعند القيام بذلك، نعمل على موقفنا وبنية العالم، هذه العلاقة التي لا تنفصم بين اللغة والواقع، وهي الموضوع، والهدف، والعقل، والمادة هي الواقع من حيث الحقيقة، ولكي تكون هذه النظرية صالحة، يجب أن تجيب على السؤال المتعلق بكيفية ارتباط البشر بالعالم من خلال وعي محدد لغويًا، وليس مجرد وصف هيكل رسمي ثابت، وجوهر نظرية "بروندال" هو إعادة تفسير فئات "أرسطو" الفلسفية، منذ البداية، يقترح "بروندال" توليفة من اللغويات الكلاسيكية والحديثة في محاولة طموحة لفهم الواقع البشري على أساس الكون اللغوي، ودمج مفاهيم المنطق، والفلسفة اللغوية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2009 م، ص 25، 26.

<sup>2</sup> ميلكا إفتيش، اتجاهات البحث اللساني، ص 317 وما بعدها.

<sup>3</sup> جورج مونا، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م، ص 135.

ويركز عمل "بروندال" على قواعد اللغة العالمية على التشكيل، والرسومات المجردة للدلالات، وبناء الجملة، وهو يتعامل فقط بشكل متقطع مع "علم الأصوات"، وهذا هو، البعد الرمزي في نظريته، لم يكن "بروندال" قلقاً بشكل خاص بشأن مفهوم العلامة، وكان هدفه النهائي العثور على السمات الأساسية للغة التي حافظت عليها كظاهرة متممعة في الحس الظاهري، ورأى لجوهر اللغة وهدفها في العلاقة الإنسانية بالعالم، لكن مفاهيم "بروندال" مستمدة من نفس السياق الفلسفي لمفهوم الإشارة، وهي في المقام الأول فئات "أرسطو" - المادة، والكمية، والجودة، والعلاقة - المنقحة للإشارة إلى الفئات العامة الأربعة، النسب، والوصف، هذه الفئات هي العناصر الأساسية لبناء قواعد اللغة.

وقد ساعدت متطلبات "اللسانيات البنيوية" عند "بروندال" على تعريف الفئات في العلاقات المتبادلة اللازمة، والكافية للأغراض المورفولوجية والنحوية، ولكنه وضع أيضاً مجموعة من الفئات النسبية المحددة، وخاصة التماثل، والانتقال، والاتصال، من العلاقات المنطقية للنظرية المنطقية الحديثة، وذلك أساساً لأغراض الدلالية، جميع الفئات توضح طرقاً مختلفة لربط الأشياء والوعي، وعلاوة على ذلك، يتم تنظيم كل من مجموعة من الفئات وفقاً لسلسلة من المبادئ البنيوية المستمدة من مذهب اللغة كبنية من الاختلافات والتشابه<sup>1</sup>.

كما طور "بروندال" مبدأ الاستمرارية ليشمل المفهومين المترابطين للتعويض والتباين<sup>2</sup>، وهي أقل منطقياً من أشكال العلاقة والفئات، وهي تفترض مسبقاً وجود عناصر محددة نوعياً من قبل الفئات، وكمياً من خلال أشكال العلاقة، على هذا الأساس، فإنها تخلق صلة بين الخصائص النوعية والرسمية للوحدات النحوية، إذا كان، في لغة معينة، يتم تعريف العنصر النحوي (على سبيل المثال، فئة كلمة) رسمياً على أنها معقدة، ثم التمايز الداخلي للطبقة سيكون أكثر تقييداً من التمايز الداخلي لعنصر أقل تعقيداً (إيجابي، أو سلبي، أو محايد)، وهذا ما يسمى "مبدأ التعويض"، إذا كان هناك عنصراً أو مجموعة من العناصر، في لغة معينة، يتلقون تقريباً نفس التعريف النوعي أو الرسمي (على سبيل المثال، "الأسماء"، و"الصفات"، و"حروف الجر")، فإن التمايز الداخلي للعنصرين، أو مجموعات العناصر سيكون مختلفاً، وهذا ما يسمى "مبدأ الاختلاف".

### ينس أوتو هاري يسبرسن

"ينس أوتو هاري يسبرسن"<sup>3</sup> *Jens Otto Harry Jespersen*، عالم لغات، وعالم صوتيات دنماركي، وحجة بارزة عالمياً في قواعد اللغة الإنكليزية، ولد في بلدة "راندرز" *Randers* بالدانمارك في 17 جويلية 1860 م، وتوفي في مدينة "روسكيلده" *Roskilde* بالدانمارك في 30 أبريل 1943 م، وأسهم في تطوير تعليم اللغات في المناهج

<sup>1</sup> ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م، ص 418.

<sup>2</sup> بريجيتته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ص 221 وما بعدها.

<sup>3</sup> ينظر إلى ترجمة "ينس أوتو هاري يسبرسن" في المراجع الآتية:

*J M Pickett, The sounds of speech communication: a primer of acoustic phonetics and speech perception, Baltimore: University Park Press, Pennsylvania, USA, 1980.*

*Peter Ladefoged, Preliminaries to Linguistic Phonetics, Cambridge University Press, United Kingdom, 1971.*

التعليمية الأوروبية، كما ساعد بقسط كبير من خلال مؤلفاته المتعددة على تطوير "علم الصوتيات"، و"النظرية الألسنية"<sup>1</sup>، و"تاريخ اللغة الإنكليزية"، إضافة إلى تأسيس لغة عالمية عُرفت باسم "نوفيال" "Novial"، عرضها في كتابه "لغة عالمية" "Langue internationale" سنة 1928 م، وأتبعه في عام 1930 م بمعجم لها، آمن "يسيرسن" بأن مشاكل اللغة سببت الحرب، ولذلك صنع لغته "نوفيال"، لكن لغة "نوفيال" خدمت بوفاة "يسيرسن" عام 1943 م، وبقيت كذلك حتى أعيد اكتشافها، وُبعثت من جديد في تسعينات القرن العشرين في ظل الاهتمام باللغات الصناعية في عصر الإنترنت.

وتعتبر "نوفيال" لغة اصطناعية ولغة مساعدة دولية، صنعها "أوتو يسيرسن" كي تكون لغة تعارف، وتواصل دولي دون أن يضطر أحد إلى تغيير لغته الأم، ومفردات "لغة نوفيال" مبنية بشكل كبير على اللغات "الجرمانية؛ أي من الألمانية، والإنجليزية، والهولندية، والسويدية، والدنماركية، والنرويجية، والأيسلندية، و"الرومنسية" - اللغات الرومنسية أصلها "اللغة اللاتينية" أغلبيتها في جنوب أوروبا، وأهمها هي الإيطالية، والفرنسية، والإسبانية، والبرتغالية، والرومانية، والكتلانية - ، وقواعدها متأثرة "بالإنجليزية"، وساعد "أوتو يسيرسن" في صناعة "لغة إيدو"، ولغة إيدو "Ido" هي لغة اصطناعية ابتكرت لتصبح لغة ثانية عالمية للمتحدثي الخلفيات اللغوية المختلفة، وهي أسهل للتعلم من أي لغة عرقية، يوازي هذا الاستعمال المقصود الاستعمال الحالي "للغة الإنجليزية" كلغة تعارف، و"كالفرنسية"، و"العربية"، و"اللاتينية"، و"اليونانية" في العصور السابقة، بخلاف "اللغة الإنجليزية" التي تعتبر لغة طبيعية وشاذة أحياناً، ولقد صمم "أوتو يسيرسن" "لغة إيدو" بشكل معين للانتظام المعجمي، والإملائي، والقواعدي، وبهذا المعنى، "إيدو" تصنف كلغة مساعدة دولية، هي قد تكون ثاني أكثر اللغات استعمالاً بعد "لغة الإسبيرانتو" "Esperanto"، - "لغة الإسبيرانتو" هي لغة مصطنعة اخترعها طبيب العيون البولندي "لودفيغ أليغاز زامنهوف" "Ludwik Lejzer Zamenhof" كمشروع لغة اتصال دولية سهلة عام 1887 م، لم تكن "لغة الاسبيرانتو" معادلة لإحدى اللغات الأوروبية الرئيسية بل هي تغيير معجمي لاتيني، وبالتالي هي قريبة بشكل نسبي "للغة السلافية"، ووثيقة الصلة "بالعبرية الحديثة"، و تغيير معجمي عبراني - .

استعمل "أوتو يسيرسن" في "لغة إيدو" الأبجدية اللاتينية ذات الحروف الستة والعشرين المستعملة في الأبجدية الإنجليزية بدون علامات صوتية، وهي بذلك تشبه اللغات الرومانسية في الشكل، ويظن البعض أحياناً أنها "اللغة الإيطالية"، أو "الإسبانية" من النظرة الأولى، و"لغة إيدو" واضحة بشكل كبير لأولئك الذين درسوا "لغة الإسبيرانتو"، مع ذلك هناك بعض الاختلافات في تشكيل الكلمة، والقواعد، والكلمات الوظيفية القواعدية التي تجعلها أكثر من مشروع إصلاح بسيط<sup>2</sup>، بعد استهلاكها من طرف "أوتو يسيرسن"، كسبت "لغة إيدو" دعماً من بعض جاليات "الإسبيرانتو" في ذلك الوقت، لكن بعد موت "أوتو يسيرسن" هبطت في الشعبية، وكان ذلك لسببين: أولاً، ظهور الانشقاقات الدينية

<sup>1</sup> ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974 م، ص 42.

<sup>2</sup> ينظر: فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، بمراجعة عبد السلام رضوان، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000 م، ص 242.

الأخرى التي نشأت عن مشاريع الإصلاح المتنافسة؛ وثانياً: قلة العامة التي تعي "لغة إيدو" كمرشحة للغة دولية، أضعفت هذه العقبان الحركة، وهي لم تزيد إلا بعد ظهور الإنترنت حيث بدأت باستعادة زخمها السابق.

استلهم "يسبرسن" في شبابه أعمال مواطنه اللغوي الشهير "راسموس راسك" *Rasmus Rask* واعتمد على نحوياته للبدء بدراسة اللغات "الإيسلندية"، و"الإيطالية"، و"الإسبانية"، ثم قرر خوض ميدان الدراسات اللغوية حين كان "علم الصوتيات"، وتطوير تعليم اللغات يشغلان الحيز الأكبر من اهتمام العلماء، فحصل في عام 1887 م على "شهادة الماجستير" من "جامعة كونهانغن" بأطروحة في "اللغة الفرنسية"، وكان قبل ذلك بعام واحد قد نشر أولى أعماله المهمة عن "قوانين الصوتيات"، مما ساعد على تأسيس "الجمعية الاسكندنافية لإصلاح تعليم اللغة"، شغل بين عامي "1893 م / 1925 م" كرسي أستاذ اللغة الإنكليزية في "جامعة كونهانغن"، قاد في أثنائها حركة بناء تعليم اللغة على تبادل الحوار كلامياً بدلاً من حفظ النصوص، والعمل على مفرداتها، وقواعدها النحوية، وألف في هذا المجال عدداً من الكتب التي استخدمت في الدانمارك وغيرها من بلدان شمالي أوروبا وغربيها، وقدم في كتابه الشهير "كيفية تدريس اللغة الأجنبية" *Comment enseigner une langue étrangère* عام 1901 م، أورد فيه "يسبرسن" جملة من الأفكار، والتأملات النظرية في الموضوع، وقد تركزت معظم أبحاثه المنشورة حول اللغة الإنكليزية، وأهمها "نمو اللغة الإنكليزية وبنيتها" *La croissance et la structure de la Langue anglaise* " في عام 1909 م في سبعة أجزاء.

أولى "يسبرسن" اهتماماً خاصاً للعلاقة ما بين الصوت والمعنى في اللغة، وكان من أولى اهتماماته أيضاً التطور اللغوي الذي تأثر فيه بنظرية عالم التاريخ والطبيعة والجيولوجيا البريطاني "تشارلز داروين" *Charles Robert Darwin* " في النشوء والارتقاء، مما ظهر جلياً في كتابه "التطور في اللغة، مع إشارة خاصة إلى الإنكليزية" *Les progrès dans Langue, avec référence spéciale à l'anglais* عام 1894 م، وقد بقي كتابه "الصوتيات" *phonétique* " مدة طويلة من الزمن أفضل دراسة علمية في حقل "علم الصوتيات العام"<sup>1</sup>.

وفي عام 1913 م أنجز "يسبرسن" عملاً رائداً في كتابه "منطق اللغة" *La logique de la langue* على صعيد "نظرية النحو" *théorie grammaticale*، أما عمله الرئيسي في نشأة اللغة، وارتقائها، وربما الإنجاز الأكثر إبداعاً فقد سطره في كتابه "اللغة: طبيعتها، تطورها، وأصلها" *langue Son développement, nature et origine* عام 1922 م، كما عبر عن إيمانه بفعالية التغيير اللغوي في كتابه "فلسفة النحو" *La philosophie de la grammaire* عام 1924 م، وانطلاقاً من اهتمامه الطويل الأمد "باللغات العالمية المساعدة" *international Langues auxiliaires*

#### هولغر بيدرسن

ولد "هولغر بيدرسن" *Holger Pedersen*، في 7 أبريل 1867 م في قرية "جيلبال" *Gelballe* بالدنمارك، وتوفي 25 أكتوبر 1953 م في "هيليروب" *Hellerup* قريبة من "كونهانغن"، درس "اللغة الدنماركية"، "الأرمينية"، و"الألبانية"، وقد نشر العديد من الأعمال "باللغة الألمانية"، و"الفرنسية"، والتي كانت لغتي الأكثر استخداماً

<sup>1</sup> ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 02، 1997 م، ص 53.

على نطاق واسع في مجال البحث اللغوي، درس "هولغر بيدرسن" في "جامعة كونهانغن"، وبعدها في "جامعة لايبزيغ" *Universität de Leipzig* "بألمانيا" *Allemagne*<sup>1</sup>، وفي عام 1893 م، درس في "جامعة برلين"، اللغات السلتية، "السنسكريتية"، و"الأرمنية الكلاسيكية"، وفي العام نفسه، سافر إلى "كورفو" *Corfou* "جزيرة يونانية" لدراسة "اللغة الألبانية"، كما شارك "هولغر بيدرسن" في أعمال "نظرية الحنجرة"، واقترح أول مجموعة من "اللغات الهندو أوروبية" مع عائلات أخرى، وصاغ مصطلح "اللغات النوستريكية" *Langues nostratiques* "لوصف اللغات، وهي الفصيلة افتراضية أو العائلة اللغوية الكلية، والتي تشمل عدة عائلات من اللغات الأوروبية والآسيوية.

في عام 1895 م، قضى عدة أشهر في "جزر آران" *Îles d'Aran* "في إيرلندا" *Irlande* لدراسة الشكل المحافظ للغة المنطوقة "الغيلية" *gaélique*، وهي من اللغات "الجودية" أو "الجويدية"؛ وهي اللغات التي تتكلمها "الشعوب الغالية" في "إيرلندا"، و"اسكتلندا"، و"جزيرة مان"، وتنقسم إلى فرعين وهما اللغات السلتية، واللغات البريتانية، وهي من ضمن اللغات الهندية الأوروبية، وفي عام 1896 م، مكث في "بريطانيا" حيث التقى بـ"جوزيف لوث" *Joseph Loth*، و"أنطوان ميه" *Meillet Antoine*، ثم عاد "هولغر بيدرسن" إلى الدنمارك، وقدم أطروحة الدكتوراه في "جامعة كونهانغن" حول "اللغات الكلتية" *Langues celtiques* التي تتحدث بها بعض الجزر في "بريطانيا"، و"أيرلندا"، وفي الشمال الغربي من "فرنسا"، وفي عام 1900 م أصبح أستاذا محاضرا في "النحو المقارن"، وفي عام 1902 م عرض عليه "منصب الأستاذية" في "جامعة بازل" *l'université de Bâle*، لكنه رفض، ولكن سمح له في نفس الوقت لإقناع "جامعة كونهانغن" بإنشاء الأستاذية الخاصة بالنسبة له، أصبح أستاذا "للغة الروسية" في "جامعة كونهانغن"، ونشر قواعد "اللغة الروسية" في عام 1916 م، ودرس أيضا العلاقة بين "اللغات السلافية" باللغات البلطيقية السلافية، بما في ذلك "الروسية"، و"التشيكية"، و"الليتوانية"، ويضع دراسة مقارنة للغات البلطيقية السلافية، والذي سمي "بقانون بيدرسن" *Loi de Pedersen*<sup>2</sup>.

في عام 1924 م و 1925 م، قدم عدة محاضرات في "المدرسة الفرنسية" *Collège de France* في "باريس"، وقام بتحرير كتاب عن مجموعة من "اللغات الهندو أوروبية".

كان "بيدرسن" مهتما بلغات آسيا الصغرى أيضا، وهي تعمل بشكل جيد في "اللغة الحيثية" وهي لغة منقرضة من "اللغات الأناضولية" كان يتحدث بها "الحيثيون"، في آسيا الصغرى وشمال "بلاد الشام"، وترجع أقدم نصوصها إلى الفترة الممتدة ما بين عام 1400 وعام 1190 قبل الميلاد، وكذلك درس "بيدرسن" العلاقة بين "اللغة الحيثية" مع اللغات الهندو أوروبية، وفي عام 1945 م، نشر دراساته حول هذه المقارنات، تولى "هولغر بيدرسن" رئاسة "جامعة كونهانغن"، ورئاسة "أكاديمية العلوم" في عام 1934 م إلى 1938 م، وكان فارس من فرسان الدرجة الأولى *Dannebrog* في عام 1919 م، وهو شارة على شريط مع زهرة معدنية تقلدها "بيدرسن" على الجانب الأيسر من الصدر، وتقلد وسام

<sup>1</sup> ينظر: السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص 78.

<sup>2</sup> بريجيتته بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ص 167.

"الصليب الأكبر" من وسام "Dannebrog" في عام 1950 م، وهو شارة تقلدها "بيدرسن" على الكتف الأيمن، بالإضافة إلى نجمة على الجانب الأيسر من الصدر.

وبناء على ما سبق فإن "مدرسة كوينهاغن اللغوية" قامت على كثير من مبادئ "مدرسة جنيف"، و"مدرسة براغ"؛ إذ اعتبرت اللغة ليست مادة، وإنما هي صورة، أو شكل، زد على ذلك فإن جميع اللغات تشترك في أنها تُعبر عن محتوى، ويوضع لتحليل اللغة نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات، كما تقوم "مدرسة كوينهاغن اللغوية" على النقد الحاد للسانيات التي سبقتها، وحادت في نظرها عن مجال اللغة بانتصابها خارج الشبكة اللغوية، فهي بذلك تقوم على النسقية التي تنصب على داخل اللغة، فهي تصدر منها وإليها، ولا تخرج عن دائرة اللغة المنظور إليها على أنها حقل مغلق على نفسه، وبنية لذاتها، ومن ذلك تسعى المدرسة إلى إبراز كل ما هو مُشترك بين جميع اللغات البشرية، وتكون اللغة بسببه هي مهما تبدل الزمن، وتغيرت الأحداث<sup>1</sup>.

أما فيما يخص منهج المدرسة، ومنهجيتها في مقارنة النصوص فإنها تعتمد المنهج الوصفي التحليلي، والاستنباطي، وقد درست اللغة أيضا على أنها صورة، وليست مادة، واعتبرت اللغة حالة خاصة من النظام السيميائي، وإن جميع اللغات تشترك في أنها تعبر عن محتوى، وما دامت اللغة هي "بنية"، و"شكل"، و"نظام" فريد قائم بذاته استدعى ذلك أن توضع لتحليلها نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات، وتقوم على أساس وصف الظواهر اللغوية، وتحليلها، وتفسيرها تفسيريا موضوعيا للوصول إلى إقامة لسانيات علمية مبنية على أساس رياضي، ومنطقي، وكلي.

#### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007م.
2. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
3. بريجيت بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان بأول حتى ناعوم تشومسكي، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 01، 2004 م.
4. بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2009 م.
5. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974 م.
6. جرهارد هليش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، 2003 م.
7. جورج موان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م.

<sup>1</sup> محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001 م، ص 76.

8. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 02، 2000 م.
9. السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، مكتبة الازهرية، القاهرة، مصر، ط 01، 2008.
10. صلاح فضل، علم الأسلوب والنظرية البنائية، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م
11. عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
12. فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، ترجمة أحمد عوض، بمراجعة عبد السلام رضوان، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 263، نوفمبر، 2000 م
13. محمد الصغير بناني، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2001 م.
14. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط 02، 1997 م.
15. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
16. ميلكا إفتيش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 02، 2000 م.
17. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م.
18. هيام كردية، معجم أعلام الألسنية في الغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2011 م.

#### المراجع باللغة الأجنبية:

1. Butler Christopher, *Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories*, john benjamins publishing company, Amsterdam, Pays-Bas, 2003.
2. Butler Christopher, *Structure and Function: A Guide to Three Major Structural-Functional Theories*.
3. J M Pickett, *The sounds of speech communication: a primer of acoustic phonetics and speech perception*, Baltimore: University Park Press, Pennsylvania, USA, 1980.
4. Larsen, Svend Erik, *Actualité de Brøndal*, Ediciones Larousse, Hachette Livre; Lagardère, paris , France, 1987.
5. Patrick Guelpa, *Introduction à l'analyse linguistique*, Armand Colin Masson, paris, France, 1997.
6. Per Aage Brandt, *Linguistique et sémiotique: actualité de Viggo Brøndal*, Travaux du cercle linguistique de Copenhague, Danemark, 1989.
7. Peter Ladefoged, *Preliminaries to Linguistic Phonetics*, Cambridge University Press, United Kingdom, 1971.

المحاضرة السابعة

المدرسة الوظيفية

الفرنسية

## توطئة:

يعترف "جان بياجيه" *Jean Piaget*، في مطلع كتابه "البنوية" *le structuralisme* بأنه "من الصعب، تمييز البنوية، لأنها تتخذ أشكالاً متعددة لتقدم قاسماً مشتركاً موحداً"، فضلاً على أنها "تتجدد باستمرار"<sup>1</sup>، وأن البنويين في نظر الآخرين هم "جماعة يؤلف بينها البحث عن علاقات كلية كامنة"، تستمد روافدها من ألسنية "دي سوسير" *Ferdinand de Saussure*، وأثنوبولوجية "كلود ليفي ستروس" *Claude Lévi-Strauss*، ونفسانية "جان بياجيه" *Jean Piaget*، و"جاك لاكان" *Jacques Lacan*، وحفريات "ميشال فوكو" *Michel Foucault* التاريخية والمعرفية، وأديبات "رولان بارت" *Barthes Roland*،... وغيرها، فالبنوية منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية، أو المجموع المنتظم، اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة.

اشتق لفظ "البنوية" من "البنية" فكل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها -أو نفككها- إلى عناصرها المؤلفة منها، بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها، إن البنية نظام تحولات، والتحويلات علاقات لعناصر البنية، أي دخول عنصر في البنية مع عنصر آخر في علاقة متبادلة، أو دخول جملة مع جملة، أو نص مع نص<sup>2</sup>، هذه العلاقة هي ما يمكن أن نطلق عليه تسمية "الوظيفة" *Fonction*؛ فالوظيفة، إذن، هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين مكونات البنية، وفاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يمارسه كل عنصر منها داخل المجموعة التي ينتمي إليها، وليس هناك أية قيمة يمكن لأي عنصر أن يمتلكها بشكل منعزل، وإنما يكتسب مثل هذه القيمة بالعلاقة التي يشكلها مع عنصر آخر، أو مع عناصر أخرى، فيكون الكشف عن هذه العلاقات التي تتواصل من خلالها عناصر البنية هو كشف عن وظائف البنية ذاتها.

إذن، فالتحليل الوظيفي يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام، وأساسه، مع النظر إلى أن كل تركيب، أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة، ومن هنا، لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج في علاقاته، فالنظام هو تنظيم لعلاقات البنية، وضبطها، وليس هذا التنظيم سوى علاقات قواعدية محكمة للعناصر المتشكلة، والمتفاعلة فيه، والتي هي وظائف ذاتها، نتمكن بالكشف عنها من معرفة طرق الاستخدام اللغوي، وغاياته، وقد اهتم البنويون وعلماء اللسانيات بمفهوم "الوظيفة" لا بل نال هذا المفهوم اهتماماً أكثر من غيره، نظراً لأهميته، من كونه يعني بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشتمل عليه من مستويات نتعرف من خلالها، على مختلف الوظائف التي تضطلع بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة.

<sup>1</sup> جان بياجيه، البنوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 03، 1982 م، ص 81، وينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1983 م، ص 188.

<sup>2</sup> ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م، ص 33.

## المدرسة الوظيفية الفرنسية

تعد المدرسة الوظيفية الفرنسية اتجاهًا آخرًا من التوجهات اللسانية التي تأسست في خضم اشتهاار الفكر السوسيري، وقد قام "أندريه مارتينييه" <sup>1</sup> *André Martinet* بتأسيس هذه المدرسة أخيرًا في مهد اللسانيات فرنسا، فقد كانت الانتقادات الظاهرة والضمنية التي وجهها سوسير إلى آلية التفكير التاريخية واستبدال هذا البرنامج بالإصرار على ضرورة فصل النظام اللغوي عن التاريخ، والذي ربط به تعريف اللغة بالمنهج، وفق مقولته الشهيرة " *c'est le point de vue qui crée l'objet* " <sup>2</sup>؛ ومنه فإن هذا المبدأ يجعل من المقولة الأخيرة التي اختتمت بها المحاضرات تعني أن اللغة هيكل بنيوي متماسك، ومتعاقد لا يجوز فصل أي عنصر من عناصره عن الآخر، وبالتالي فإن المواد المنفردة لا ينظر إليها من خلال الصورة الشمولية اللغة تصبح موادا " *Des substances* " لا قيمة لها في اللسانيات، لأنه يفتقر إلى أهم ميزة من المميزات التي ينبغي الظفر بها، وهي الوظيفة.

هذه الأخيرة التي يجب الأخذ بها أولاً وقبل كل شيء ضمن إطار أوسع للبحث عن العلاقات الصورية بين العناصر، هو العنصر الناقص في أطاريح التاريخيين، والفلاسفة <sup>3</sup>، ونحاة "البوررويال" " *port Royale* " الذين وقعوا في تناقض لم يستطيعوا التخلص منه خصوصاً لما عرفوا الوظيفة، ولكنهم بحثوا عنها في إطار أغمض يحاول تحديدها من خلال حمل اللسان على الفكر <sup>4</sup>، هذه النظرية التي سيطرت على مجمل الدرس اللغوي في مختلف منجزات الحضارات الغابرة في العالم القديم، وامتد ذلك حتى القرون الوسطى، وعشية القرن التاسع عشر حتى قوضها "دي سوسير"، وجعلها خارج مجال الاشتغال اللساني، وقد نرى عالم اللسانيات الفرنسي "أندريه مارتينييه" يؤكد على "علم اللغة الوظيفي"، بقوله عن هذا العلم، إنه "ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله، وأن وظيفة وحدة، أو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير الكامل للواقعة اللغوية" <sup>5</sup>، وهذا يشير إلى أهمية الجانب الوظيفي في تحليل اللغة وفهمها، وتفسير الوقائع المرتبطة بها، لأن مثل هذا الجانب يمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها، الأمر الذي يؤكد ارتباط الوظيفة بالمعنى، وأن كل وظيفة محددة مهما كان نوعها تؤدي معنى محددًا في سلسلة الوظائف، أو المعاني التي ترتبط بالبنية اللغوية.

<sup>1</sup> ينظر إلى ترجمة "أندريه مارتينييه" في المحاضرة الخامسة "مدرسة براغ 02"

<sup>2</sup> *Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éd. Charles Bally et Albert Sechehay, Payot, Paris, France, 1971, p 23.*

<sup>3</sup> ينظر: ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان، فاطمة طبال بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، العدد 23، ديسمبر جانفي، 1983 م، ص 68.

<sup>4</sup> ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1986 م، ص 163.

<sup>5</sup> ينظر: يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، 1989 م، ص 72.

وقد وعى عالم اللسانيات الأمريكي "إدوارد ساپير" *Edward Sapir*<sup>1</sup> مسألة التفاعل بين مفهومين أساسيين من مفاهيم اللغة، هما "مفهوم الشكل ومفهوم الوظيفة"، وتنبه إلى استحالة قيام علاقة وحيدة الاتجاه بين الوظيفة والشكل "فنظام الأشكال شيء، واستعمال هذا النظام لتحديد الوظائف شيء آخر... إن الوظيفة أن يكون لدينا شيء نقوله تسبق الشكل قول هذا الشيء بطريقة ما"<sup>2</sup>؛ وهنا ربط "ساپير" القول بالمقصدية التي تعمل على تشكيل العملية اللغوية بما ينسجم مع هذه المقصدية، وأهدافها الإبلاغية، وبما يسمح للمرسل بتوصيل ما يرغب فيه للآخر.

وعلى الرغم من أن "ساپير" كان قد رأى أنه من الممكن دراسة الشكل اللغوي باعتباره نظاماً تركيبياً من أنظمة اللغة، دون أن يعني ذلك دراسة الوظائف المتصلة به، فإن مفهوم (الوظيفة) ظل حاضراً لديه، يفرض عليه مرتكزاته بشدة عند كل دراسة له للأشكال اللغوية، واستخداماتها المختلفة، مع العلم أن أي شكل لغوي سيؤدي وظيفة مغايرة للوظيفة التي يمكن أن يؤديها شكل لغوي آخر، كما يمكن للشكل نفسه أن يحتوي مجموعة وظائف تكشف عنها عناصر هذا الشكل، وعلاقاته بالاستناد إلى البنية القواعدية لهذا الشكل، وقد يعود بعض هذه الوظائف إلى وظيفة مركزية يكون منوطاً بها هدف مركزي، يتولى الإفصاح عن هذه الوظيفة؛ إذ نرى مثلاً، داخل شكل لغوي معين: وظيفة للصوت يكشف عنها علم الأصوات، ووظيفة للحرف، أو للمقطع يكشف عنها علم التشكيل الصوتي، ووظيفة للصيغة، واشتقاقاتها، وتصريفها يكشف عنها الصرف... وهكذا<sup>3</sup>، وهناك من يقول بوظيفتين للصوت: واحدة تسهم في تحديد الدلالة، والثانية تأتي من وجوده داخل إيقاع معين، وفي الحقيقة، فإن كلاً من الوظيفتين تؤكد الوظيفة الدلالية للصوت، وربما لا تقتصر هذه الوظيفة على اتصالها بالأصوات بشكل مباشر، بقدر اتصالها بالطريقة التي تتداخل بها هذه الأصوات، ويبقى المعنى هو المرتكز الذي تسعى إليه مختلف الوظائف التي يتم الكشف عنها في هذا الإطار.

<sup>1</sup> إدوارد ساپير (1884-1939) أحد أهم الشخصيات في التطور المبكر لعلم اللغويات، كان أول من أثبت أن مناهج المقارنة في علم اللغوية كانت صالحة للتطبيق على اللغات الأصلية، نشر في نسخة "موسوعة بريتانكا" *Encyclopædia Britannica* عام 1929 أكثر تصنيف رسمي للغات سكان أمريكا الأصليين، وأول تصنيف معتمد على أدلة مُستقاة من على اللغويات المقارن الحديث، وكان أول من قدم دليلاً لتصنيف لغات "الألجيك" *Langues algiques*، "أوتو الأرتيكانية"، و"نا دينا"، واقترح بعض العائلات اللغوية التي لا تعتبر أنها أثبتت بشكل كافٍ وإنما تتطلب المزيد من الاستقصاء مثل لغات "هوكان"، و"البنوشية"، تخصص ساپير في دراسة لغات "أتاباسكان"، ولغات "شينوكان"، ولغات "أوتو الأرتيكانية" مقدماً بذلك أوصافاً نحوية مهمة لكل من لغات سكان "تاكيلاما"، "ويشرام"، وقبائل "بايوت" الجنوبية، عمل أيضاً في وقت لاحق من حياته المهنية على اللغة اليهودية الأوروبية، والعبرية، والصينية، واللغات الألمانية، واستثمر في تطوير لغة مساعدة دولية.

<sup>2</sup> جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م، ص 169.

<sup>3</sup> نفسه، ص 88.

وقد اهتم "لويس هيلمسليف" <sup>1</sup> "Louis Hjelmslev" بتحليل المعنى، وذلك بالكشف عن الوظائف التي تحدده، مشيراً إلى أن دخول الشكل اللغوي في إطار علاقات بنية معينة هو الذي يحدد وظيفته، ويعطيه معناه <sup>2</sup>، لقد كانت الظروف مهيأة لإستمولوجيا "لأندرية مارتنيه" ليكون واحداً من أهم اللسانيين في العالم، فقد كان، وأثناء دراساته العليا "بجامعة السوربون" "Sorbonne" في اختصاص اللغة الإنجليزية يحضر محاضرات أكابر علماء اللغة كـ "ويليم موسيه" "William Marçais" <sup>3</sup>، و"جوزيف فندريس" "Joseph Vendryes" <sup>4</sup> مما جعله على علم عميق باللغات الجرمانية، كما كان زميلاً ملازماً لـ "أنطوان ميه" "Antoine Meillet" <sup>5</sup> الذي أشرف على أطروحته التي نوقشت سنة 1937م، ثم صاحب "فيلام ماثيسوس" <sup>6</sup> "Vulém Mathesius" "نيكولاي تروبتسكوي" <sup>7</sup> "Nikolay Sergeevitch Trubetskoy" حتى وفاته سنة 1939 م.

ولما أقام "بالدنمارك" لازم "هيلمسليف" و"بروندال" "Rasmus Viggo Brøndal" <sup>8</sup> ومع انتهاء الحرب

<sup>1</sup> ينظر إلى ترجمة "لويس هيلمسليف" في المحاضرة السادسة "مدرسة بكوبنهاجن".

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م، ص 121، 122.

<sup>3</sup> "وليم مرسيه" (1872 - 1956) هو مستشرق فرنسي اهتم خصوصاً باللغة البربرية، واللهجة العربية المغربية، من آثاره ترجمة "ديوان أوس بن حجر التميمي" إلى الفرنسية.

<sup>4</sup> جوزيف فندريس (1875 - 1960) لغوي فرنسي، بعد دراسته مع "أنتوان ميه" كان رئيساً للأدب و"اللغات الكلتية" "Langues celtiques" في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس "École pratique des hautes études" أو "EPHE"، أسس مجلة "Études Celtiques"، كان عضواً في أكاديمية النقوش، والآداب، ومستشاراً مع جمعية اللغة الدولية المساعدة، التي قامت بإعداد اللغة إنترلنغوا "Interlingua".

<sup>5</sup> "أنتوان ميه" (1866 - 1936) واحد من أهم علماء اللغويات الفرنسيين في النصف الأول من القرن العشرين بدأ "ميه" درساته في السوربون، وتأثر هناك بـ "ميشال بريال" "Michel Bréal"، و"فرديناند دي سوسير" "Ferdinand de Saussure"، في 1890 كان جزءاً من رحلة أبحاث إلى القوقاز، وهناك درس اللغة الأرمينية، وعقب عودته ولأن "سوسير" قد رجع إلى جنيف قام بمواصلة سلسلة المحاضرات في النحو المقارن التي كان اللغوي السويسري يلقيها قبل عودته لوطنه، أكمل "أنتوان ميه" رسالة الدكتوراة خاصته في نحو اللغة السلوفانية القديمة في العام 1897، وفي العام 1897 شغل كرسي اللغة الأرمينية في معهد اللغات والحضارات الشرقية "بباريس"، في 1902 تم انتخابه كعضو في "كوليج دو فرانس" "Collège de France" حيث درّس تاريخ، وتركيب اللغات الهند - أوروبية، وعمل بشكل مقرب مع عدد من أعلام اللغويين مثل: "بول بوليو" "Paul Beaulieu"، و"روبرت غوتيو" "Robert Gotio"، اليوم ينظر إلى "أنتوان ميه" باعتباره الموجة لجيل كامل من اللسانيين الفرنسيين الذين أصبحوا في ما بعد شخصيات مركزية في اللغويات الفرنسية؛ مثل "أندرية مارتنيه"، و"إميل بينفينيست"، و"جورج دومزيل" "Georges Dumézil"، و"مارسيل كوهين" "Marcel Samuel" "Cohen".

<sup>6</sup> ينظر إلى ترجمة "فيلام ماثيسوس" في المحاضرة الرابعة "مدرسة براغ 01".

<sup>7</sup> ينظر إلى ترجمة "نيكولاي تروبتسكوي" في المحاضرة الرابعة "مدرسة براغ 01".

<sup>8</sup> ينظر إلى ترجمة "راسموس فيغو برونالد" في المحاضرة السادسة "مدرسة بكوبنهاجن".

العالمية الثانية سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليلتقي بالعقري الروسي "جاكسون" *Roman Jakobson*<sup>1</sup>، و"بلومفيلد" *Leonard Bloomfield*<sup>2</sup>، و"ساير" *Edward Sapir*، وكان على متابعة مستمرة لما كان يطوره ويعرضه "تشومسكي" *Noam Chomsky*<sup>3</sup> من أفكار لسانية جديدة، هذا المزيج المتكامل من الصداقات، والمعارف كان من شأنها أن تقوده مباشرة إلى صلب الفكر السوسيري، والتي جعلت من "أندريه مارتنيه" على درية متقنة بالبحث العلمي، وعلى دراية عميقة بالمستوى الذي بلغته اللسانيات، فسمح كل ذلك له بشق طريق خاص بنظريته ضمن النظريات المدارس المحورية لهذا العلم.

الإرهاصات الأولية للمنزع الوظيفي الفرنسي في اللسانيات البنوية، من السوسيرية الفونولوجية إلى السوسيرية

### التركيبية:

مما تطرقنا إليه في محاضرة "حلقة براغ 01 و 02" كيفية طرحهم لمفهوم الوظيفة الذي اكتشفوه، واستخلصوه من السوسيرية بعد طول نظر، وتأمل في الأحداث اللغوية، والأدلة المعروضة بها، والمصاغة صياغة علمية صارمة مع "سوسير"، وقد أصبحت معهم وظيفة اللغة كحقيقة ثابتة؛ هي التواصل، والتبليغ فضلا عن الوظائف الأخرى المحمول

<sup>1</sup> ينظر إلى ترجمة "رومان جاكسون" في المحاضرة الثالثة "مدرسة موسكو".

<sup>2</sup> ليونارد بلومفيلد (1887 - 1949) أحد علماء اللغة الأمريكيين، وأحد أهم الرائدون في مجال اللغويات البنوية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، من أعماله المهمة، والتي أحدثت أثراً كبيراً في فهم اللغة، وطبيعتها في ذلك الحين كتابه الذي أطلق عليه عنوان "اللغة" عام 1933، والذي قدم وصفاً شاملاً للغويات البنوية في أمريكا، وقد قدم إسهامات كبيرة في ميدان اللغويات التاريخية للغات الهندوأوروبية وفي وصف العديد من اللغات في جنوب شرق آسيا، والمحيط الهادي بالإضافة إلى وصف العديد من لغات السكان الأصليين في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان منهجه اللغوي متميزاً بالتركيز على الأسس العلمية للغويات، والانطلاق من المذهب السلوكي في عدد من أعماله الأخيرة، بالإضافة إلى الاهتمام بالإجراءات البنوية في تحليل المعلومات اللغوية، إلا أن تأثير اللغويات البنوية التي أطلقها "بلومفيلد" قد تراجع، وانحسر في نهاية الخمسينيات، والستينيات بعد أن ظهرت نظريات القواعد التوليدية التي كان "نعوم تشومسكي" *Noam Chomsky* من أوائل واضعيها.

<sup>3</sup> "أفرايم نعوم تشومسكي" ولد في 7 ديسمبر 1928 وهو أستاذ لسانيات، وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي، وعالم بالمنطق، ومؤرخ، وناقد، وناشط سياسي، يعمل "تشومسكي" كأستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات، والفلسفة في "معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا" *Massachusetts Institute of Technology*، والتي عمل فيها لأكثر من 50 عام، إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات، فقد كتب "تشومسكي" عن الحروب، والسياسة، ووسائل الإعلام وهو مؤلف لأكثر من 100 كتاب، وفقاً لقائمة الإحالات في الفن، والعلوم الإنسانية لعام 1992، فقد تم الاستشهاد "بتشومسكي" كمرجع أكثر من أي عالم حي خلال الفترة التي امتدت من 1980 حتى 1992، كما صُنّف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق في قائمة تضم الكتاب المقدس، و"كارل ماركس" *Karl Marx*، وغيرهم، وقد وُصف "تشومسكي" بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له كـ "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام 2005.

على غاياتها الأساسية، وقد استقبل الوظيفيون الفرنسيون و"أندريه مارتنيه" بشكل خاص هذه التجربة<sup>1</sup>، ونتائجها بإقامة صرح علمي كامل مبني أساسا على هذا المفهوم الوظيفية مما جعلهم منذ البداية مقتنعين بأن:

1. كل ما له وظيفة تضمن تحقيق التواصل فهو واقع ضمن عناصر اللغة، وواقع ضمن مجال مهمة اللسانيات.

2. كل ما لا يؤدي هذا الدور فهو واقع خارج اللسانيات، ولا تعني اللسانيات في شيء.

وبعد هذا التحديد المجال الدراسة، وتميز ما هو لغوي عما لا يعد من صلبها، جاء دور تعرف اللغة "موضوع اللسانيات الوظيفية" بالمفهوم العلمي الدقيق، ولكن هذه المرة ليس بناء على الوظيفة فقط؛ بل وبالخاصية التركيبية أيضا، الذي حدده "أندريه مارتنيه" على النحو الآتي: "اللغة أداة تواصل، وتبليغ يتم من خلالها تحليل الخبرة الإنسانية إلى وحدات محددة، تختلف من مجتمع إلى آخر، هذه الوحدات ذات تعبير صوتي، ومضمون دلالي؛ تسمى الوحدات الدالة "المونيمات" "*Les monemes*"، وينقسم التعبير الصوتي بدوره إلى وحدات تمييزية متتابعة تسمى الوحدات الصوتية "فونيمات" "*Les phonemes*" وعدد هذه الوحدات الصوتية محددة في كل لغة، وهي تختلف من حيث النوع، والعلاقات المتبادلة من لغة إلى أخرى"<sup>2</sup>، وإذا حاولنا تحليل هذا التعريف فإننا ننتهي مع "مارتنيه" إلى جملة من الحقائق اللغوية التواصلية، والتحليلية النظرية التي ستستثمر في تمديد محاور النظرية اللغوية، وهي:

01 - أننا نطلق مصطلح "اللغة" للدلالة على أداة التبليغ، والتواصل ذات طبيعة تركيبية مزدوجة "*Instrument de communication doublement articulée*" والتعبير الصوتي، وبالتالي فإن اللساني لا يهتم بمختلف الأنظمة السيميولوجية الأخرى التي تشترك مع اللغة في التواصل كإشارات المرور، ولغة الصم البكم، والرسومات، والأيقونات.. الخ.

02 - أنه خارج هذا الأساس المتبادل لا يوجد شيء ينتمي إلى اللغة باعتبارها منظومة متكاملة دون أن يختلف من لغة إلى أخرى، وبهذا المعنى يجب تفسير مبدأ الاعتباطية في تحديد دلالات المعطيات اللغوية في كل لغة من اللغات.

وانطلاقا من هذه المعطيات، والتحديدات التي أسس عليها "مارتنيه" نظريته، وصقل منها مبادئه المنهجية تحت مفهوم عام تمثل في (الوظيفة التركيب) استنتج جملة من المبادئ الفرعية التي سارت عليها نظريته، ومنها:

01 - تحديد وظيفة اللغة "*fonction du langage*": وبهذا يكون المعيار الذي يهدف إلى تحليل النظام اللغوي، ووصفه، وهذا يعني أن تقطيع اللغة إلى وحدات أولية (فونيمات / مونيمات) يجب أن يكون بهدف تحديد وظيفة كل واحد منها، وهذا يدل على أن الوحدات اللغوية لا معنى لها بانفصال بعضها عن بعض؛ لأنها تسهم في أداء وظيفتها التواصلية مجتمعة.<sup>3</sup>

02 - إحياء مقولة التقطيع المزدوج "*le double articulation*": الذي يميز اللغة الإنسانية، والذي تشترك فيها جميع اللغات الطبيعية، حيث إن جميع اللغات تخضع لهذا النموذج، دون اللغات الاصطناعية، أو اللغات التي تستعملها

<sup>1</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale, volume 349 de la Collection Armand Colin, section « Langues et Littératures », Paris, France, 1960, p 53.*

<sup>2</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale, p 21, 22.*

<sup>3</sup> أندريه مارتنيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحموي، المطبعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1985 م، ص 07.

الحيوانات للمطالبة بإشباع غرائزها المختلفة، والذي جعلها تامة على مستويين<sup>1</sup>، وهما (التقطيع الأولي للغة، والتقطيع الثاني لها بناء على مقابلتها على محوري التراكيب والاستبدالات)<sup>2</sup>؛ ولا يستقيم أبدا النظر إلى التمفصلات اللغوية بمجزل عن هذه المحاور، وهما على النحو الآتي:

**01 - التقطيع الأولي للغة:** وهو التمفصل الذي يقوم بتجزئة الخبرة الإنسانية، والتجربة الشعورية إلى سلسلة من الوحدات، يكون لكل واحدة منها دلالة، وصيغة صوتية<sup>3</sup>، فإذا كنت أحب أن أعبر عن إعجابي بالطبيعة مثلا، فإنه بإمكانني أن أعلن عن ذلك بالابتسام، والتأمل فضلا عن بعض الإشارات السيميولوجية الأخرى، لكن هذه الابتسامة وهذا التأمل قد يكونان منعكسا شرطيا غريزيا فطريا وآليا دون وعي، أو تحكم، وفي هذه الحالة لا يمكن لذلك أن يصنف ضمن الأنظمة اللغوية التواصلية، أو أن يكون تعبيرا إراديا تهتم به بعض العلوم الأخرى كعلم النفس بأنواعها، وفروعها، ولكن اللسانيات لا تأخذ به على أنه حدث لغوي "*Un fait linguistique*"، ولكن إذا كان مقصودا بوجه من الأوجه، وننوي رميه للعالم الخارجي، وتنبهه معبرين عن مدى إعجابنا بالطبيعة، فإنه مع ذلك لا يكفي لأن يكون إعلاما لغويا<sup>4</sup>.

إن كل ابتسام غير قابلة للتقطيع لا يمكن بأي وجه ضمها إلى صف الأحداث اللغوية الأمر الذي يختلف تماما عندما أنطق بالجملة: (أحب الطبيعة)، فهذه الجملة حينئذ تعد حدثا لغويا قابلا للتقطيع المزدوج؛ لأنها تتألف من أربعة وحدات (أحب+أنا+ال+طبيعة) مع العلم بأنه لا يمكن لأي وحدة من هذه الوحدات أن تعبر بمفردها على حيي للطبيعة. كما أنها تتوفر على قابلية لاستعمالها في سياقات أخرى تعبر عن حاجيات نفسية، وشعورية أخرى، فكلمة (أحب) يمكن أن تظهر فيما لا طائل إلى حصره من التراكيب (أحب الصحراء الجبال، الأطفال، العلم... الخ)، وهذه الإمكانية في تغير السياقات، والتكيف مع المعاني الأخرى يظهر جليا أهميته في الاقتصاد اللغوي الذي يحققه التقطيع الأول، ولو لم يكن ذلك كذلك لكان على الإنسان استعمال ما لا طائل إلى عده من الأصوات، والكلمات للتعبير عن مناسبة نفسية واحدة<sup>5</sup>، وهو الأمر المستحيل، لكن بهذه الخاصية من جهة أخرى فإن اللغة تبين طبيعتها الإبداعية، وعبقريتها الفريدة في إعادة إنتاج الكون (الداخلي والخارجي) الذي يعيش فيه الإنسان، إن لكل وحدة من الوحدات السابقة التي رأينا عدم كفاءتها في حمل المعنى العام بانفراد فإن جزء كل واحدة منها لا يمكن بأي حال أن يعبر عن جزء معناها، الأمر الذي يختلف مع الهيئة الصوتية التي يمكن لها ذلك، وفي هذه الحالة يتحقق ما سماه "أندريه مارتنيه" "التقطيع الثاني للغة".

<sup>1</sup> ينظر: رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 82.

<sup>2</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, p 14, 15.

<sup>3</sup> ينظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 105.

<sup>4</sup> أندريه مارتنيه، مبادئ اللسانيات العامة، ص 19، 20.

<sup>5</sup> ينظر: سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م، ص 74.

**02 - التقطيع الثاني للغة:** الذي يجرأ الجملة السابقة إلى أصواتها الدنيا، وهي: (أ+ح+ب/ل+ط+ب+ي+ع+ة) مما جعلنا نتحصل على عشرة وحدات صوتية لا معنى لأي واحدة منها على انفراد<sup>1</sup>، يقول "أندريه مارتينييه": "بممكننا أن نفترض جدلا وجود نظام بلاغي يقدم لنا صرخة خاصة لكل حالة، ولكل تجربة بشرية، ولكنه يكفي المرء أن يتذكر التعدد اللاهائي لمثل هذه الحالات، والتجارب كي يقتنع بأن مثل هذا النظام لا بد أن يشتمل على أعداد هائلة من الدلائل المختلفة مما يفوق قدرة العقل البشري على الاستيعاب"<sup>2</sup>.

### ثنائية "الشفرة والخطاب" عند "أندريه مارتينييه":

إنه من الضرورة بما كان أن نقيم تمييزا دقيقا، وصارما بين شيئين هامين، هما:

1. العناصر اللغوية المختلفة والموجودة على مستوى الحدث الكلامي الفعلي، أو يسميه "دي سوسير" الوجود التحصيلي للغة كما تظهر في الكلام *l'actualisation*؛ وهي معطيات فعلية يعبر بها المتكلم في كل مناسبة من مناسباته الكلامية كجزء من الدورة اللغوية أثناء التواصلية.
2. العناصر اللغوية الموجودة بوصفها جزءا من الذاكرة الجماعية للغة والتي يستثمرها المتكلم لتلبية حاجاته التواصلية من جهة أخرى.

ومن خلال التفريق بين العنصرين السابقين فإنه ليس من واجب على المحلل اللغوي، ولا من اهتمامات اللسانيات البحث عن تحديد أماكن تواجد هذه العناصر؛ لأنه سينتقل بعدها إلى "علم الأعصاب" *Neurosciences* أو ما يعرف حاليا "باللسانيات البيولوجية" *Linguistique psychologique*، والأمر نفسه ينطبق على تحليل الدوافع، والمسوغات المستترة وراء المتكلم الذي يختاره لما يناسب، ويوافق أغراضه، ومناسباته الكلامية، وهذا مجال اهتمام "علم النفس الإدراكي" *Psychologie cognitive*، وهي حدود إبستمولوجية يجب ألا يتجاوزها اللساني، وهي العضلة التي جعلت نقاد اللسانيات يستفسرون عن عدم الاضطلاع بها، وأثر كل ذلك في الحقيقة العلمية الناتجة عنها، ولتجاوز هذه العقبات كان على الانطلاق من مجموعة من الإجراءات أهمها افتراض وجود جهاز نفسي عضوي تم تحفيزه أثناء العمليات المبكرة لاكتساب اللغة، أو تعلمها، "تشومسكي" مثلا افتراض جهاز غريزي، وفطري لتعلم اللغات سماه (L.A.D)؛ ويتلخص دور هذا الجهاز في استخلاص الأنظمة الصوتية، والتركيبية التي يتم من خلالها تحليل الفكرة المعلن بواسطة اللغة، ووفق قوانين، وشروط اللغة المستعملة في ذلك، وهو ملزم بإتباعها في كل نقطة من نقاط الحدث الكلامي.

الأمر الذي تجاوزه "أندريه مارتينييه" حيث لم يهتم إطلاقا بالأصول النفسية، والبيولوجية للغة، وتوجه صوبها نحو تحليل هذه الأنظمة، واختبار كيفية اطرادها، واستمرارها في الاستعمال، ومرة أخرى نصطدم بحقيقة قل الاختلاف حولها؛

<sup>1</sup> أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م، ص 234، وينظر:

André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, p 21.

<sup>2</sup> ينظر: نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م، ص 363.

والتي تفيد بأن هذه اللغة لا وجود لها عينيا إلا من خلال الكلام، ونحن نعلم، وباتفاق جميع الباحثين بأن الكلام ليس لغة، ومن هنا انتبه "أندريه مارتنيه" إلى إعادة تشخيص الثنائية الأكثر شهرة في تاريخ اللسانيات وعند "دي سوسير" بالتحديد "اللغة والكلام" إلى "الشفرة والخطاب" [Langue et parole/ code et message].

يرى "أندريه مارتنيه" بأن هذه الثنائية التي اقترحها "دي سوسير" لا يمكن لللسانيات الواقعية أن تأخذ بها كأداة إجرائية التحليل يقول في ذلك: ".أستبعد شخصا التقابل السوسيري بين لسان كلام، إننا نواجه ظاهرة مدركة، هي الكلام إضافة إلى سلوك الكائنات الحية التي تتبادل الكلام، وهذا عنصر مدرك يجدر بنا الانطلاق بدءا منه، والاستبطان ليس مسلكا جديرا بالاحترام في البحث العلمي، وليس ثمة لسان وكلام، هناك الكلام فقط، ومن ثم العناصر التي لها في الكلام ملائمة للسان موضوع البحث" <sup>1</sup>، ويقول في سياق آخر "يمكن أن يفهم من التمييز الضروري جدا بين اللسان والكلام مقابل علم خاص باللسان، غير أنه يجب الاقتناع بأن الكلام لا يعمل سوى على تحقيق النظام (النسق) اللسان؛ إذ لا يمكن الوصول إلى معرفة اللسان إلا بالكلام والسلوك الذي يحدده عند المتكلمين" <sup>2</sup>، ومن هذه الإشارات يعيد "أندريه مارتنيه" رسم الحدود الإجرائية للرسالة على أنها الوسيلة التي تسمح بنمذجة الخطاب لغويا.

إن في تحديد الفروقات الدقيقة بين الكلام واللغة يمكننا من الوصول إلى مرحلة تجعلنا نقنع بأن للكلام نظاما مستقلا عن اللغة، مما قد يجعلنا من جهة أخرى نؤمن بإمكانية فصل البحوث اللسانية لنصل في الأخير إلى علم الكلام بموازاة علم اللغة، لكن اللسانيات تصر بأن الكلام ليس إلا تحقيق وتجسيد للغة، ولا يمكن على الإطلاق الوصول إلى كنه اللغة إلا من خلال الكلام، هذا الأخير الذي يمثل أطلال الأولى، وتتفاوت النتائج المحصل بتفاوت مستويات اختزال واستبعاد المظاهر النفسية الفسيولوجية المناسبة كحالات الحزن، والفرح، واليأس، والرغبة الشديدة .. الخ، أو الأمور الغريزية العضوية كالطابع الصوتي، ومستوى الصوت الذي يميز الأفراد <sup>3</sup>، وهي كلها أمور لا تمثل عناصر اللغة، ولا تجسد العقد الاجتماعي الذي يستسلم الفرد لسلطته عند اكتسابه، أو تعلمه للغة.

ومن هنا فإن "أندريه مارتنيه" يعيد النظر في مهمة اللسانيات، وكيفية تمثلها، وسطر لها أهدافا جديدة ضمن ما يراه لسانيات واقعية، ومن جملة ذلك، ما يأتي <sup>4</sup>:

1. الوصفية الواقعية.
2. رفض البعد النظري العام.
3. رفض الشكلانية تحليلا، وصياغة.

<sup>1</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, p 102.

وينظر: مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م، ص 313.

<sup>2</sup> نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, p 03.

<sup>4</sup> أندريه مارتنيه، وظيفة الألسن وديناميكتها، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م، ص 25.

4. اعتماد الوظيفية مقياسا لتحليل اللساني.

5. التأكد على ديناميكية اللسان.

### مبدأ الاقتصاد اللغوي:

إن تطور اللغة مرتبط بشكل كبير بأسباب خارجية أهمها: اتصال بنية لغة ببنية لغة أخرى، وحاجة التواصل داخل المجتمع هو أحد الأسباب الرئيسية التي تساعد على تطور اللغة<sup>1</sup>، يقول "أندريه مارتينييه": "تفهم اللغة الإنسانية من وجهة النظر الوظيفية كأنها تسعى إلى نقل تجربة معقدة بواسطة أصوات محددة تجعلها مدركة عن طريق الحواس وقابل للتحليل إلى وحدات يوافق كل منها عنصرا من التجربة موضوع النقل"<sup>2</sup>، فقدرة اللغة على التجسيد في الوحدات تسمح لها بتحقيق هذا التقطيع، وبالتالي فإن هذا الأخير يوفر إمكانية الاقتصاد.

أما ما نسميه بالجهد الأدنى "*La loi de moindre effort*" فإنه يحكم جميع الأحداث الكلامية، ولولاه لما استطعنا إيجاد لغة مناسبة للتفاهم؛ لأننا سننهدك أنفسنا في استعمال ما لا طائل إلى حصره من الأصوات، والكلمات للتعبير عن تجربة بسيطة في كل مناسبة من المناسبات، بل إنه على المتكلم أن يحدث لغة جديدة في كل مرة من مرات مجاهدة ذلك، وهذا يستتبع معه تعميق مقولة الاعتباطية التي فرقت بين الأصوات والكلمات، في حين أن المعنى واحد في جميع اللغات.

### تحليل التراكيب والعبارات:

تم كل التجليات اللغوية عبر تتابع منتظم للمنطوقات مشكلة مدارجا متسلسلة، ومتناسقة للكلام "*Enchaine parle*"، وهذا يجري من خلال تركيب الأصوات كأجزاء كانت في الأصل منفصلة تأخذ أزمنا مستقلة، ومرتبة الواحدة بعد الأخرى في خط واحد لتنتهي إلى صورة صوتية مركبة تحيل على دلالة محددة تناسب هذا الترتيب التركيبي، وأي اختلاف في المبنى يطابقه بالضرورة اختلاف في الدلالة في كل موضع من مواضع الخطاب<sup>3</sup>، وبذلك فإنه ينبغي البناء على معيارين متآلفين، هما:

**معيار البناء على منزع المعاني:** انطلق الوظيفيون من ذرات الكلام، وأكدوا مقدرة الفونيمات على التعبير والتحكم في المعاني كما هو الحال بين (صال وصال / قام وصام / تاب وناب.. الخ)، وأصبحت قناعات اللسانيين واضحة أكثر بدور الدراسة الفونولوجية في وصف، وتحليل اللغة، ودور الكلمات في ذلك لا يختلف كثيرا عن الأصوات، فكلاهما لا معنى لها وهي قائمة بذاتها منفصلة عن غيرها، ودون نسق تركيبية، وهذا ما أشار إليه "ستيفن أولمان" "*Stephen Ullmann*"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر في تفصيل ذلك: ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 255 / 257.

<sup>2</sup> أندريه مارتينييه، وظيفة الألسن وديناميكتها، ص 145.

<sup>3</sup> أندريه مارتينييه، مبادئ اللسانيات العامة، ص 37.

<sup>4</sup> ستيفن أولمان (1914 - 1976) لغوي مجري قضى معظم حياته في "إنجلترا"، وكتب عن الأسلوب، وعلم المعاني في اللغات الرومانسية، واللغات الشائعة.

بقوله: "لا تحمل الكلمات معان وهي قائمة بذاتها، فبوجه عام يرتبط معنى أية كلمة بمعان الكلمات الأخرى بطريقة قد تكون بسيطة، أو معقدة"<sup>1</sup>، وهذه المساواة بين الصوت والكلمة تفرض أيضا مساواة من جهة أخرى في مجال الدراسة بين الفونولوجيات، والتراكيبات<sup>2</sup>، فهل يمكن دراسة التراكيب دون اللجوء إلى المعنى؟، وهل يمكن تأجيل البحوث الدلالية في طلب النظرية اللسانية؟.

لقد استحسن "أندريه مارتنيه" مناهج بعض اللسانيين الذين استنبطوا طرائق حديثة، وفعالة في وصف اللغة، ويرى بأن هذه الطرائق مثالية على النحو الذي نجده في المناهج الأمريكية التي يتزعمها "بلومفيلد" و"هاريس" "Zellig Harris"<sup>3</sup> في إطار البرامج السلوكية، والتوزيعية المستحدثة، التي لم تهتم إطلاقا بمقولة (المعنى) بل ولم يعدوه من صلب المشكلة اللغوية، وغير قابل جراء ذلك للدراسة العلمية، ويذكرنا هذا السياق بمقولة "بلومفيلد" عندما أقر بأن "تحليل المعنى هو أضعف نقطة في دراسة اللغة، وسوف يظل هكذا حتى تتقدم المعرفة الإنسانية أكثر مما هي عليه في الحالة الراهنة"<sup>4</sup>، ويفيد ذلك في استبعاده من مجال عمل الباحث اللساني كل ما لا يمكن ملاحظته، ومتابعته ميدانيا لصعوبة ترتيبه ضمن الوقائع، كما أنه من ناحية أخرى نعلم بأن المعاني واحدة، والألفاظ متعددة، ويجب لهذه المعاني أن تكون معلومة، ويستحيل حين الربط بين الدوال ومدلولاتها دراسة اللغة ما لم يكن ذلك كذلك، ولم يجرؤ أحد من العلماء دراسة لغة ليست مفهومة عنده.

من خلال ما تقدم مع نستنتج أن الاشتغال بالمعنى، والبناء عليه يطرح جملة من العقبات أمام الباحثين، وقد تحول بينه وبين بلوغ أهدافه، غير أن موقف "أندريه مارتنيه" من ذلك كان أكثر مرونة من السلوكيين لأنه بحسب الوظيفيين ليس من الحكمة اعتماد مناهج تتجاوز بالكامل أهمية الوحدات الدالة على المعاني، هذا الأخير الذي يتحكم في تراتبية المباني على النحو الذي مرة مع "أندريه مارتنيه" عندما قال: "إن أي تغيير في المعنى يؤدي بالضرورة إلى التغيير في المبنى"<sup>5</sup>؛ ومن هنا فإن دراسة التراكيب مع دراسة الفونولوجية تعد من صلب النظرية اللسانية الوظيفية التي تسعى سعيا حثيثا إلى حل المشكلة اللغوية بالوسائل العلمية، والمنهجية المتاحة، مع تجريب مستمر لتحليل هذه المستويات اللغوية المتناسقة،

<sup>1</sup> ينظر: ر.ل. تراسك، أساسات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م، ص 59، وينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م، ص 384.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 235.

<sup>3</sup> "زليج هاريس" (1909 - 1992) عالم لغوي أمريكي، وخبير منهجي في العلوم، اشتهر بعمله في "اللغويات البنوية" "Linguistique structurale"، وتحليل الخطاب، واكتشاف البنية التحويلية في اللغة، تم نشر هذه التطورات من السنوات العشر الأولى من حياته المهنية، لتشمل مساهماته في السنوات الـ 35 اللاحقة من حياته المهنية قواعد النقل، تحليل السلاسل (القواعد المتجاورة)، اختلافات الجملة الأولية (ومشابك التحلل)، الهياكل الجبرية في اللغة، قواعد المشغل، قواعد اللغة الفرعية، نظرية المعلومات اللغوية، وساب مبدئي لطبيعة وأصل اللغة.

<sup>4</sup> أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 05، 1998 م، ص 22، وينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 196.

<sup>5</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, p 33.

والمترابطة داخليا، وبالعودة إلى العقبات التي تواجهنا أثناء الاعتماد على تحليل التراكيب، وأكثرها أهمية هي عدم نجاح معيار الترتيب بالنسبة للوحدات الدالة، كان على النظرية اللسانية الوظيفية اللجوء إلى إعادة تصنيف الوحدات الدالة في اللغة إلى أصناف، وأجناس متعددة من أجل تحديدها، وضبط وظيفتها، وقد نتج عن ذلك ثلاثة أصناف من الوحدات الدالة، وهي<sup>1</sup>:

1. الوحدات الدالة المستقلة، *les monemes autonomes*

2. الوحدات الدالة الوظيفية، *les monemes fonctionnels*

3. الوحدات الدالة التابعة، *les monemes dépendants*

وكل وحدة من هذه الوحدات أقسام، وفروع أخرى تتأصلها، وتتبع الوظائف، وتصنيفها تصنيفا يسهل على الباحث حصرها، واعتمادها في التحليل، وبهذا يخرج الوظيفيون بنظرية شاملة تهتم بتحليل الأحداث اللغوية بناء على الوظيفة.

وفي الأخير فلقد جاءت الوظيفية التركيبية "لأندرية مارتنيه" بين أشهر مدرستين اشتغلت على الوظيفة، وهي "براغ" و"الغلوسيماتية"، وبالرغم من أنها لم تشتهر كما اشتهرت هذه المدارس إلا أنها تبقى حلقة هامة، ومحورية متميزة في تاريخ اللسانيات الحديثة التي اقترحت فتح مجالات جديدة ضمن البحوث اللسانية.

#### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط 05، 1998 م.
3. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
4. أندرية مارتنيه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحموي، المطبعة الجديدة، دمشق، سوريا، 1985 م.
5. أندرية مارتنيه، وظيفة الألسن وديناميكتها، ترجمة نادر سراج، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 م.
6. تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م.
7. جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، منشورات دار عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 03، 1982 م.
8. جورج موانان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1982 م.
9. ر.ل. تراسك، أساسات اللغة، ترجمة رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م.

<sup>1</sup> André Martinet, *Eléments de linguistique générale*, p 107, 108.

10. رونالد إيلوار، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة بدر الدين القاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، 1980 م.
11. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م.
12. سليم بابا عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة، شركة أنوار للنشر، الجزائر، 1990 م.
13. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1983 م.
14. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
15. ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند جاك لاكان، فاطمة طبال بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر، منشورات معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، العدد 23، ديسمبر جانفي، 1983 م.
16. مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء مصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 01، 2017 م.
17. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1986 م.
18. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
19. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م.
20. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث للنشر، الإسكندرية، مصر، 2008 م.
21. يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 03، 1989 م.

## المصادر الأجنبية:

1. *Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique générale, éd. Charles Bally et Albert Sechehaye, Payot, Paris, France, 1971.*
2. *André Martinet, Eléments de linguistique générale, volume 349 de la Collection Armand Colin, section « Langues et Littératures », Paris, France, 1960.*

المحاضرة الثامنة

المدرسة السياقية

## توطئة:

تعتبر النظرية السياقية كغيرها من النظريات اللسانية الحديثة التي نشأت تحت الظروف السياسية، والاجتماعية والثقافية، والدينية، وغيرها من الظروف التي ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الناس، وعاداتهم اليومية، ولما كان الأدب هو انعكاس للظروف المحيطة بالأديب؛ فإن النتائج الذي يتبلور عن هذا الأدب على صلة وثيقة بظروف المجتمع، أي أن النظريات، والأساليب، وقواعد العلم المختلفة متأثرة بالظروف المحيطة بالمجتمع على اختلاف هذه الظروف.

"فالنظرية السياقية" *"Théorie contextuelle"* نشأت تحت تأثيرات المجتمع، وتطوراتها، في النصف الثاني من القرن العشرين على يد العالم اللغوي "جون روبرت فيرث" *"John Robert Firth"* الذي يعتبر رائد "المدرسة السياقية" *"Contextualisme"* التي ركزت في تفسيرها للمعنى على الطريقة التي يستخدم بها الكلمة؛ أي: الكيفية التي جاءت عليها الكلمة، وهو ما يطلق عليه السياق الذي يعبر فيه عن الكلمة من خلال وضعها في نص ما، وقد استفاد "فيرث" من الدراسات اللسانية السابقة في مجال اللغة وخاصة أبحاث "دي سوسير" *"Ferdinand de Saussure"* في البنيوية اللغوية، فالكلمة عند "دي سوسير" هي علامة لغوية، وأن العلاقة بين اللفظ والمعنى، أو الدال والمدلول اصطلاح غير معلل أي اعتباطي، فالعلامة اللغوية هي أيضا اعتباطية، وإن دلالة الكلمة مرتبطة بسياقها الذي يوحى بمعناها إذ تتحدد تلويحاتها الدلالية عبر تداعيات مفهومية متميزة<sup>1</sup>، وعليه فقد أكدت "النظرية السياقية" أن تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد السياقات التي ترد فيها، ونفت عن الصيغة اللغوية دلالتها المعجمية؛ لأن نظام اللغة نظام متشابك العلاقات بين وحداته، ومفتوح على التغيير في بنياته المعجمية والتركيبية، فخارج السياق لا تتوفر الكلمة على المعنى.

إن منهج "النظرية السياقية" يعد من المناهج الأكثر موضوعية، ومقاربة للدلالة، ذلك أنه يقدم نموذجة فعلية لتحديد دلالة الصيغ اللغوية، وقد تبني كثير من علماء اللغة هذا المنهج منهم العالم "لودفيغ جوزيف فتغنشتاين" *"Ludwig Wittgenstein"*<sup>2</sup> الذي قال: "لا تفتش عن معنى الكلمة، وإنما عن الطريقة التي تستعمل فيها"<sup>3</sup>، وعد كثير من اللغويين "النظرية السياقية" خطوة تمهيدية في طريق المنهج التحليلي، فقد أكد "أولمان" *"Stephen"*

<sup>1</sup> مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007، م، 75.

<sup>2</sup> لودفيغ فتغنشتاين (1889 - 1951)، فيلسوف نمساوي، ولد في "فيينا" وتوفي في "كامبردج"، يعدّ من أبرز فلاسفة اللغة، والمنطق، والعقل، من أهم مصنفاته: كتاب "مصنف منطقي فلسفي" الذي يحتوي على مقارنة للفلسفة تنسف إمكانية التفلسف، وتعيدها إلى نقطة الانطلاق، وتدعو للسكوت عمّا لا ينبغي قوله، ومن أعماله كذلك كتاب "تحقيقات فلسفية" الذي لم ينشر إلا بعد وفاته، وله أيضا كتاب "ملاحظات في أسس الرياضيات" الذي يعد من أهم كتبه، بالإضافة إلى أهم كتبه على الإطلاق، وأكثرها شهرة، وتأثيراً كتاب "تحقيقات فلسفية".

<sup>3</sup> ينظر: كريم ركي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985، م، ص 384.

*Ullmann* <sup>1</sup> أين المعجمي يجب أولاً أن يلحظ كل كلمة في سياقها، ويدرسها في واقعها العملي، ويستخلص من مجموع استعمالاتها العامل المشترك العام، فيسجله على أنه معنى الكلمة، وهذا المعنى هو المعنى المركزي للكلمة <sup>2</sup>.

### "جون روبرت فيرث" "John Robert Firth"

وُلد اللغوي "جون روبرت فيرث" "John Rupert Firth" في السابع عشر من شهر جوان في عام 1890م في "كيللي" "Keele" في مقاطعة يوركشاير "Yorkshire" في المملكة المتحدة "Royaume-Uni"، وتوفي في الرابع عشر من شهر ديسمبر في عام 1960م في "ليندفيلد" "Lindfield" غرب ساسكس "West Sussex" ببريطانيا، وهو معروف أيضاً باسم "جي آر فيرث" "J R Firth"، ويُعد اللغوي "جون روبرت فيرث" لغوياً إنجليزياً، وشخصية بارزة في "علم اللغة البريطاني" "linguistique britannique" خلال فترة الخمسينيات من القرن الماضي، وكان أستاذاً للغة الإنجليزية في "جامعة البنجاب" "Université du Pendjab" في "لاهور" "Lahore" بباكستان "Pakistan" من عام 1919م وحتى عام 1928م، وبعدها شغل منصب أستاذ في قسم الأصوات والصوتيات في "كلية لندن الجامعية" "University College de Londres" قبل أن ينتقل إلى "كلية الدراسات الشرقية والأفريقية" "School of Oriental and African Studies"، حيث أصبح أستاذاً في علم اللغويات العامة، وهو المنصب الذي شغله حتى تقاعده عام 1956م.

ولد "جون روبرت فيرث" عدة في علم اللغة مساهمات، إذ كان لعمل اللغوي "جون روبرت فيرث" على "آلة العود" سبب لدراسته علم الأصوات والصوتيات، فلوحظ أن "جون روبرت فيرث" لفت الانتباه إلى طبيعة المعنى التي تعتمد على السياق مع مفهومه عن سياق الموقف، حيث كان لعمله على المعنى المهني معترف به على نطاق واسع في مجال دلالات التوزيع اللغوي.

طور "فيرث" وجهة نظر خاصة لعلم اللغة أدت إلى ظهور صفة "فيرثيان" "Firthian"، محور هذا الرأي هو فكرة تعدد النظم، يصف "دافيد كريستال" "David Crystal" <sup>3</sup> هذا على النحو التالي: نهج "فيرث" لتحليل اللغوي يعتمد على الرأي القائل بأن أنماط اللغة لا يمكن حسابها من حيث نظام واحد من المبادئ، والفئات التحليلية، ولكن قد يلزم إنشاء أنظمة مختلفة في أماكن مختلفة ضمن مستوى معين من الوصف، ويمكن اعتبار نهجه على أنه استئناف لنهج

<sup>1</sup> ستيفن أولمان (1914 - 1976) لغوي مجري قضى معظم حياته في "إنجلترا"، وكتب عن "الأسلوب"، و"علم المعاني" في "اللغات الرومانسية"، و"اللغات الشائعة".

<sup>2</sup> سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، 2007 م، ص 47.

<sup>3</sup> "دافيد كريستال" لغوي، وأكاديمي، وكاتب بريطاني، حائز على رتبة الإمبراطورية البريطانية، ولد في "ليزبورن" "Lisburn"، في "إيرلندا الشمالية" "Irlande du Nord" عام 1941، تجاوزت أعداد الكتب التي ألفها، أو شارك في تأليفها، أو التي حررها 100 كتاب في العديد من المواضيع، وتم له الكتاب رقم 100 عام 1964؛ أي: حين كان في سنّ الثالثة والعشرين، وهو متخصص في وضع المراجع، وتحريرها، ونذكر من هذه الأعمال "موسوعة كامبردج" للغة عام 1987، و"موسوعة كامبردج للغة الإنجليزية" عام 1995 و 2003.

البولندي الأنثروبولوجي "مالينوفسكي" *Bronisław Malinowski*<sup>1</sup>، وكمقدمة لنهج "الأنثروبولوجيا السيميائية" *"Anthropologie sémiotique"*<sup>2</sup>، والمناهج الأنثروبولوجية للدلالات هي بديل للأنواع الثلاثة الرئيسية لمقاربات الدلالات: "دلالات لغوية" *"sémantique linguistique"*، و"دلالات منطقية" *"sémantique logique"*، و"دلالات عامة" *"Sémantique générale"*، المناهج المستقلة الأخرى للدلالات هي "دلالات فلسفية" *"sémantique philosophique"*، و"دلالات نفسية" *"sémantique psychologique"*.

عمل اللغوي "فيرث" كمدرس في "جامعة لندن" لأكثر من 20 عامًا؛ إذ أثر "فيرث" على جيل من اللغويين البريطانيين، وأدت شعبية أفكاره بين المعاصرين إلى ظهور ما كان يُعرف باسم "مدرسة لندن لعلم اللغة" *"École de linguistique de Londres"*، ومن بين طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" العالم اللغوي والساني البريطاني "مايكل هاليداي" *"Michael Halliday"*<sup>3</sup>، الذي كان أستاذًا في علم اللغويات العامة في "جامعة لندن" من عام 1965م وحتى عام 1971م، مثالاً على ما يسمى بالطلاب الذي يمشى على خطى معلمه.

شجع اللغوي "فيرث" عددًا من طلابه اللذين أصبحوا فيما بعد لغويين معروفين، على إجراء أبحاث حول عدد من اللغات الأفريقية والشرقية وعمل طالبه "تي أف ميتشل" *"T F Mitchell"* على اللغتين العربية والبربرية، وطالبه الآخر "فرانك بالمر" *"Frank Robert Palmer"*<sup>4</sup> على اللغات الإثيوبية *"Langues éthiopiennes"*، بما في ذلك "لغة تيغري" *"langue tigrée"*، و"مايكل هاليداي" على "اللغة الصينية".

<sup>1</sup> "برونيسلاف كاسير مالينوفسكي" (1884-1942) عالم بولندي مختص في "علم الإنسان" *"Anthropologie"*، ويعد من أهم علماء الإنسان في القرن العشرين، وهو من أهم الرواد في "علم الإنسان التطبيقي" *"Anthropologie appliquée"*.

<sup>2</sup> Edwin Ardener, *Social anthropology and language*, Tavistock Publications, London, New York, 1971, p 35.

<sup>3</sup> "مايكل ألكسندر كيركوود هاليداي" (1925 - 2018) لغوي إنجليزي، ساهم في مجال "السيميائيات النظامية" *"Systémique fonctionnel"*، كتب "هاليداي باللغة الإنجليزية حوالي ثلاثين كتابًا ومقالة، كما كتب بالفرنسية، والألمانية.

<sup>4</sup> فرانك روبرت بالمر (1922 - 2019) هو عالم لغوي بريطاني كان له دور فعال في تطوير قسم العلوم اللغوية في "جامعة ريدينغ" *"University of Reading"* في "بريطانيا"، تعامل بالمر مع الطريقة في اللغة، أو اللغات بشكل عام، في كتابه "المزاج والنمطية"، الذي نُشر لأول مرة في عام 1986، طور "المر" دراسة نمطية للطريقة، أو الحالة المزاجية، وقد ظهر بالفعل منشور آخر "الطريقة والشروط الإنجليزية" في عام 1979، وأشار "المر" إلى الاهتمام الحالي بالمزاج والطريقة، وكذلك في التصنيف النحوي بشكل عام.

كما عمل معه بعض الطلاب الآخرين اللذين لم تكن لغتهم الأم "اللغة الإنجليزية"، مما أثرى نظرية اللغوي "فيرث" في "التحليل الإيقاعي"، وكان علماء اللغة العرب اللذين تأثروا به وبنظريته المشهورة في تحليل المعنى اللغوي<sup>1</sup> تمام حسان في كتابيه "مناهج البحث في اللغة"<sup>2</sup>، و"اللغة العربية معناها ومبناها"<sup>3</sup>، دون أن ننسى الأثر الواضح الذي تركته على "إبراهيم أنيس"، و"كمال محمد بشر"<sup>4</sup>، و"محمود السعران"، وحصل اللغوي "جون روبرت فيرث" على العديد من الأفكار من العمل الصوتي المنجز، كما أنه حصل على العديد من الأفكار من العمل الذي قام به طلابه في "اللغات السامية" "*Langues sémitiques*"، و"اللغات الشرقية"، "*Langues sémitiques orientales*" لذا فقد ابتعد بشكل كبير عن التحليل الخطي لعلم الأصوات، والتشكيل إلى المزيد من التحليل النحوي، والنموذجي.

وكان من المهم بالنسبة للغوي "جون روبرت فيرث" التمييز بين مستويين من الصوتيات الأنفية، والحلقية؛ حيث مهد هذا التحليل العام الطريق لعلم الأصوات ذاتي القطع، على الرغم من أن العديد من اللغويين اللذين ليس لديهم خلفية جيدة عن تاريخ "علم الأصوات" "*Phonétique*"، إلا أنه بسط هذا العلم بأبسط صورة.

مصنفات "فيرث": في عام 1930م، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "الكلام" "*Speech*"<sup>5</sup>، وطُبع في "لندن" في "المملكة المتحدة" في مطبعة "مكتبة بين سايكس بيني" "*Benn's Sixpenny Library*" في عام 1937م، ثم قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "ألسنة الرجال" "*The Tongues of Men*"<sup>6</sup> وطُبع في "لندن" في "المملكة المتحدة" في "دار نشر واتس وشركاه" "*Watts & Co*" من عام 1934م وحتى عام 1951م، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "أوراق في اللغويات" "*Papers in Linguistics*"<sup>7</sup> وطُبع في "لندن" في "المملكة المتحدة" في مطبعة "جامعة أكسفورد" "*Oxford University Press*"، وبعدها في عام 1957م، تم إعادة طباعة هذا الكتاب مرة أخرى.

وفي جويلية 1941، قبل اندلاع الحرب مع "اليابان"، حضر "فيرث" مؤتمراً حول تدريب المترجمين الفوريين والمترجمين اليابانيين، وبدأ يفكر في كيفية تصميم الدورات التدريبية المكثفة، وبحلول صيف عام 1942، كان قد ابتكر طريقة لتدريب الناس بسرعة على كيفية التنصت على المحادثات اليابانية (على سبيل المثال: بين الطيارين والمراقبة الأرضية) وتفسير ما سمعوه.

<sup>1</sup> ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م، ص 131، وينظر:

O'Grady Gerard, *Key Concepts in Phonetics and Phonology*, Palgrave, Canada, 2013, p 55.

<sup>2</sup> ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974 م، ص 233، 234.

<sup>3</sup> ينظر: تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م، ص 295.

<sup>4</sup> ينظر: كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1971 م، ص 23، 53، 57.

<sup>5</sup> J.R.Firth, *Speech*, Benn's Sixpenny Library, London, United Kingdom, 1930.

<sup>6</sup> J.R.Firth, *The Tongues of Men*, Watts & Co, London, United Kingdom, 1937.

<sup>7</sup> J.R.Firth, *Papers in Linguistics*, Oxford University Press, London, United Kingdom, 1957.

بدأت الدورة الأولى في 12 أكتوبر 1942 وكانت لأفراد "سلاح الجو الملكي البريطاني" "Royal Air Force"، لقد استخدم كتب الشفرات اليابانية التي تم الاستيلاء عليها، ومواد أخرى من هذا القبيل لوضع قائمة بالمفردات العسكرية الأساسية، ورتب لمعلمين يابانيين اثنين في "SOAS" "School of Oriental and African Studies" (كان أحدهما محتجزاً في "جزيرة مان" "Isle of Man" لكنه تطوع للتدريس، بينما كان الآخر "كندي/ياباني") لتسجيل الجمل التي يمكن استخدام هذه الكلمات فيها.

استمع المتدربون عبر سماعات الرأس إلى تسجيلات تحتوي على عبارات مثل "Bakugeki junbi taikei" (اتخاذ تشكيل للقصف)، في نهاية كل دورة، أرسل تقريراً إلى "بلتشلي بارك" "Bletchley Park" يعلق فيه على قدرات كل متدرب، تم إرسال المتدربين في الغالب إلى "الهند"، ولعبوا دوراً حيوياً خلال "حملة بورما" "Burma Campaign" الطويلة التي تحذر من غارات القصف، وكان عدد قليل منهم يقومون بمهام مماثلة على سفن البحرية الملكية خلال العام الأخير من الحرب، حصل على وسام "رتبة الإمبراطورية البريطانية" "OBE" "Order of the British Empire" عام 1945 تقديراً لعمله أثناء الحرب<sup>1</sup>.

من عام 1930م وحتى عام 1955م، قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف وتحرير كتابه "ملخص للنظرية اللغوية" "A synopsis of linguistic theory" وطُبع في "مطبوعة دراسات التحليل اللغوي" "Studies in Linguistic Analysis"، و"مطبوعة بلاكويل" "blackwell publishing" و"مطبوعة أكسفورد"، وفي عام 1957م، تم إعادة نشر هذا الكتاب للمرة الثانية في مجلة دراسات التحليل اللغوي.

ومن عام 1952م وحتى عام 1959م، قام طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" على شرفه، بتأليف كتاب أسموه "مجموعة أوراق مختارة لكافة مؤلفاته" حيث لاقى هذا العمل رواجاً كبيراً؛ وذلك لأنه كان عبارة عن يشمل من كل عمل مقتطفات جعلته كتاباً متكاملًا، قام طلاب اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتاب سُمي "ذكرى جون روبرت فيرث"، "In memory of J.R.Firth"<sup>2</sup>؛ وكان يشمل معظم أعماله في علم الأصوات، والصوتيات، وبعدها قام اللغوي "جون روبرت فيرث" بتأليف كتابه "مدرسة لندن للغويات" (دراسة في النظريات اللغوية).

### السياق من حيث اللغة والاصطلاح

أ. **السياق لغة:** السياق لغة من الجذر اللغوي "س و ق"، والكلمة مصدر (ساق يسوق سوقة، وسياقة، فالمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث، حيث يقال: سقت إلى امرأتي الصداق، وأسقته، وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وساق الحديث: إذا رواه على سياقه، وسياق الكلام تتابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه"<sup>3</sup>؛ فمن خلال النظر إلى التعريف اللغوي "المادة السياق" يتضح أن المعنى يدور حول الاتصال، والمتابعة.

<sup>1</sup> Peter Kornicki, *Eavesdropping on the Emperor: Interrogators and Codebreakers in Britain's War with Japan*, Hurst & Co, London, United Kingdom, 2021, pp. 18, 61-62, 64, 92, 146-148, 292

<sup>2</sup> Charles Ernest Bazell and others, *In memory of J.R.Firth*, Longmans, London, United Kingdom, 1966.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981 م، ج 01، ص 2092.

ب. السياق اصطلاحاً: هو "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، سواء أكانت كلمة، أو جملة في إطار من العناصر اللغوية، أو غير اللغوية"<sup>1</sup>، ويرى "هاليداي" "*Michael Halliday*": أن السياق "هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"<sup>2</sup>.

ويقول "بروس إنغام" "*Bruce Ingham*": "السياق يعني واحداً من اثنين:

أولاً: السياق اللغوي، وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلمات أخرى.

ثانياً: السياق غير اللغوي؛ أي: الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام"<sup>3</sup>.

وهذا التفريق بين نوعي السياق هو ما أكسبته نظرية "فيرث" حين أصبح تناول المعنى لهذين الجانبين وهما:

"السياق اللغوي" أو "سياق النص" "*Contexte linguistique*"، و"السياق غير اللغوي" أو "سياق الموقف" "*Contexte de la situation*"<sup>4</sup>.

### "النظرية السياقية" عند "فيرث"

تعد "النظرية السياقية" "*Théorie contextuelle*" التي أرسى قواعدها، وبنى أسسها "جون روبرت فيرث" من أهم الإسهامات التي قدمها للدرس اللساني الحديث، فقد استفاد "فيرث" من دراسات عالم الأنثروبولوجيا "مالينوفيسكي" "*Bronisław Malinowski*" من خلال دراسته الاجتماعية كما أسلفنا القول؛ إذ يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية ينبغي الاهتمام بها، حيث يقول "فيرث": "إن اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءاً من المسار الاجتماعي؛ أي: شكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتبائية، أو الإشارات"<sup>5</sup>، وبما أن اللغة هي الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعددة، فإن "فيرث" قام بدراسة مكونات اللغة وفق ظروف اجتماعية، وبالتركيز على العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع، ومن خلال ذلك فقد تبني "فيرث" نظرية "سياق الموقف" التي ابتكرها "مالينوفيسكي" حينما واجهته مشكلة ترجمة النصوص الإثنوغرافية "*Textes ethnographiques*" لوصف الأعراق البشرية في "جزر التروبرايندية" "*îles Trobriand*" "بغينيا الجديدة" "*Nouvelle-Guinée*" التي كان يعمل بها، حيث طور على إثر ذلك نظرية سياق الموقف؛ ليتمكن من معاينة الوظائف، أو المعاني التي تؤديها الكلمات، والجمل في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها، فقد قرر (مالينوفيسكي) أنه: "من الضروري أن توضع كل ألفاظ الكلام في سياق الموقف لفهم مغزاها الحقيقي"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996 م، ج 01، ص 51.

<sup>2</sup> حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي تحليل وتطبيق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 29.

<sup>3</sup> الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، ج 01، ص 51.

<sup>4</sup> أف أر بالمر، علم الدلالة، ترجمة محيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد العراق، 1980 م، ص 74.

<sup>5</sup> أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005 م، ط 02، ص 174.

<sup>6</sup> نفسه، ص 177.

لقد أولى "فيرث" لعلم الدلالة أهمية كبرى، في الوقت الذي كان فيه اللسانيون يمتنعون عن دراستها؛ باعتبارها خارج نطاق اللسانيات، وفوق طاقتها، حيث أراد أن يجعلها علما مستقلا بذاته، فهو يقول في ذلك: "دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسية للسانيات الوصفية"؛ ولتوضيح معنى الدلالة فقد قام "فيرث" بتميز نوعين من العلاقات التي ترتبط بهما الألفاظ وهما: "العلاقات الداخلية أو الشكلية"، و"العلاقات الموقفية".

ويشمل النوع الأول: العلاقات التي تربط وحدة لغوية معينة بالوحدات الأخرى، كالعلاقة الموجودة بين الوحدات اللغوية في تتابع ما، والعلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية، والعلاقات الفونولوجية بين الوحدات الصوتية.

أما النوع الثاني فيشمل: العلاقات بين الوحدات اللغوية، ومكونات الموقف غير اللغوية<sup>1</sup>.

يتبين من خلال ما سبق أن النظرية السياقية عند "فيرث" تنطلق من ركنين أساسيين، هما:

**الركن الأول:** السياق اللغوي الداخلي، أو سياق النص، وقد أشار إليه "فيرث" من خلال حديثه عن نوعية العلاقات التي تربط الألفاظ، وهي العلاقات الداخلية أو الشكلية، وبعبارة أخرى، فإن السياق الداخلي لا يتجاوز وظائفه خارج حدود النص؛ أي: أنه يبحث في علاقة الكلمة بالأخرى، وعلاقة الكلمة بالجملة، بالإضافة إلى علاقة الحروف، والأصوات بالكلمة.

**أما الركن الثاني للنظرية السياقية:** فهو "السياق الخارجي"، أو "سياق موقف"، أو "السياق غير اللغوي"، وقد أشار إليه "فيرث" "بالعلاقات الموقفية"، وهو السياق الذي تربطه علاقة ما مع الظروف، والملازمات المحيطة بالكلام، أو العناصر الخارجية غير اللغوية، وقد استفاد "فيرث" في سياق الموقف من إشارات "مالينوفيسكي" من خلال أبحاثه، ودراساته الإثنوبولوجية<sup>2</sup>.

يؤمن أتباع النظرية السياقية أن المعاني هي أنماط سلوكية يمتلكها الإنسان في إطار سياق معين، ويسمى "السلوك الكلامي"، وهذه الأنماط هي الكلمات، والألفاظ التي ينطقها الإنسان؛ ليعبر بها عن دلالات معينة؛ أي: أن هناك علاقة بين السلوك، والسياق، وقد أطلق "فيرث" على السلوك الكلامي اسم "المعطيات الصوتية": "وهي عبارة عن متصل كلامي غير مقطوع، والسياق الواسع هو الثقافة، والسيئات الثانوية هي سياقات الموقف"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> J.R.Firth, *Papers in Linguistics*, p 19.

<sup>2</sup> من بين أهم أعمال "مالينوفيسكي":

1. *The family among the Australian Aborigines. À sociological study*, 1913.
2. *Les Argonautes du Pacifique occidental*, Gallimard, *Argonauts of the Western Pacific*, Londres, 1922.
3. *Mœurs et coutumes des Mélanésien. Trois essais sur la vie sociale des indigènes trobriandais : Le crime et la coutume dans les sociétés primitives, Le mythe dans la psychologie primitive et La chasse aux esprits dans les mers du sud* » Payot, *Crime and Custom in Savage Society*, Londres, 1934.
4. *Les Dynamiques de l'évolution culturelle, Recherche sur les relations raciales en Afrique*. Payot, Londres, 1945.

<sup>3</sup> أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 181.

ويقترح "فيرث" تقسيم المعنى إلى مجموعة من الوظائف المكونة، وما الوظيفة إلا ضرب من استعمال شكل، أو عنصر من لغة معينة حسب سياق معين، وينظر إلى هذا المعنى على أنه مركب من العلاقات السياقية، وتبعاً لذلك فقد قام "فيرث" بتقسيم تلك السياقات إلى أقسام عدة، موزعة ضمن تسلسل هرمي مضبوط، وهي على النحو الآتي<sup>1</sup>:

1. السياق الصوتي.
2. السياق المعجمي.
3. السياق الصرفي.
4. السياق التركيبي.
5. سياق الموقف.
6. السياق الثقافي.

وقد عقب "فيرث" على هذا التوزيع بقوله: "إن التقنية التي رسمتها هنا عبارة عن تحليل تجريبي عوض عن تحليل نظري للمعنى، ويمكن وصفها كسلسلة من الإجراءات لوضع الظواهر في سياقات: سياق في سياق، وكل سياق عبارة عن وظيفة، أو عضو في سياق أكبر، وتحدد كل السياقات مكاناً لها فيما يسمى بـ "سياق الثقافة"<sup>2</sup>.

تنبه "فيرث" إلى أهمية الوظائف، أو السياقات السابقة في تحليل السياق اللغوي، والكشف عن المعاني الدقيقة، إلا أن السياقات (الثاني، والثالث، والرابع) تعتبر جوهر السياق اللغوي، أو الوظائف الحاكمة في نظرية السياق، وأساسه، ولا يعني ذلك إهمال السياقات الأخرى، فلكل سياق منها وظيفته الخاصة، ومرتبطة بغيره من السياقات، أما "السياق الدلالي"، أو "الوظيفة الدلالية" "*fonction sémantique*"، فإن "فيرث" يحدد وظيفتها بعلاقتها مع جميع السياقات اللغوية الأخرى في إطار "السياق الخارجي"، أو "سياق الموقف".

لقد قام "فيرث" بتطوير نظريته السياقية في آخر عهده، وخاصة فيما يتعلق بالسياق اللغوي، حيث أضاف مصطلح "الرصيف"، أو التلازم، أو المصاحبة إليها، وكان ذلك نتيجة اهتمام "فيرث" بالجانب الشكلي للمفردات المعجمية، بجانب الاهتمام العام بالكلمة، أو المفردة المعجمية، فقد لاحظ "فيرث" أن مجيء كلمات مصاحبة لكلمات أخرى يجد أحد معانيها، واتخذ للمصاحبة مستوى من مستويات السياق اللغوي أطلق عليه "المستوى المصاحبي"، أو "مستوى التحليل الرصيفي"، وأدرجه ضمن البحث المعجمي، وجاء ذلك من خلال قوله: "نعرف الكلمة بالمجموعة التي تلازمها"<sup>3</sup>، ومما يستدل من كلام "فيرث" فإن الرصيف يعني الورد المتوقع لكلمة ما مع ما يناسبها، أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما، ومن أمثلة هذا النوع: "اللبن مع البقرة"، و"الليل مع الظلمة"<sup>4</sup>، فإن جزءاً من

<sup>1</sup> الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، ج 01، ص 193.

<sup>2</sup> J. R Firth, *Introduction Studies in Linguistic Analysis*, p 05.

<sup>3</sup> بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1999 م، ص 145.

<sup>4</sup> J. R Firth, *Introduction Studies in Linguistic Analysis*, p 1211.

معنى الليل يكمن في إمكانية وروده مع لفظ الظلمة، وكذلك جزء من معنى الظلمة يكمن في إمكانية وروده مع لفظ الليل، وقد ميز "فيرث" بين نوعين من الرصف، هما:

01 - الرصف الاعتيادي الذي يوجد بكثرة في أنواع مختلفة من الكلام العادي.

02 - الرصف البليغ الموجود في بعض الأساليب الخاصة، وعند بعض الكتاب المعنيين<sup>1</sup>.

إن دراسة، وتحليل السياقات، وأنماط الرصف المختلفة وفقا لنظرية "فيرث" قد بلغا إلى نتيجة مهمة فحواها "أنه لم يعد ينظر إلى الكلمات باعتبارها وحدات معجمية تشغل مواقع نحوية محددة، وإنما إلى شروط استخدامها في تلاؤم، وانسجام مع الكلمات الأخرى الواردة في النص"<sup>2</sup>، لقد تجاوز أتباع "النظرية السياقية" حدود علم الدلالة الذي يبحث في العلاقة بين الدال والمدلول، وفي معاني الكلمات والمفردات، إلى الدور الذي تؤديه الكلمات في السياق، والطريقة التي تستعمل بما، لهذا نهج أتباع النظرية السياقية من أجل دراسة معاني الكلمات وفقا للمواقف التي ترد فيها والسياق الذي توضع فيه، إلى تقسيم السياق إلى أقسام أربعة، تشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف خارجية، وعوامل داخلية، وسمات ثقافية، ونفسية، وتتمثل هذه السياقات فيما يأتي<sup>3</sup>:

**01 - السياق اللغوي:** هو الدلالة الناتجة عن العلاقات بين الكلمات المتجاورة مع بعضها البعض في جملة ما، مما ينتج عنها معنى خاصا محددًا، ويمكن أن نضرب مثلا على ذلك كلمة "عين" حيث نجد أن لها في المعجم معاني كثيرة، ومتعددة، مثل (عضو الإبصار، الجاسوس، وسيد القوم، وعين الماء، وغيرها الكثير) لكن الذي يحدد المعنى الذي نريده هو السياق، فعندما نقول: في الجبل عين جارية؛ فإننا نقصد هنا (عين الماء)، وعندما نقول: هذا عين العدو، فإننا نقصد هنا (الجاسوس)، وكذلك في جميع سياقات الكلام.

**02 - السياق العاطفي:** وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالاتها العاطفية، كما أنه يحدد درجة الانفعال بين القوة، والضعف، مثل: استخدام بعض الكلمات في حالة الغضب دون أن يقصد معناها الموضوعي، مثل (الذبح، القتل، الضرب، وغيرها)، كقول الإنسان في حالة الغضب: لأقتلنك، فهو لا يرد هنا القتل بمعناها الموضوعي أي خروج الروح من الجسد، وإنما على سبيل تفرغ للعاطفة، وغليان النفس من الغضب.

**03 - سياق الموقف:** ويقصد به الظروف الخارجية، أو المؤثرات التي تؤثر على الكلام نابع من المحيط الخارجي، وليس من اللغة ذاتها، وبدل سياق الموقف على العلاقات المكانية، والزمانية التي يجري فيها الكلام، مثل جملة: "يرحمك الله"، التي تقال في مقام تسميت العاطس، في حين أن جملة: "الله يرحمه"، فتقال في مقام الترحم على الميت؛ فالأولى بدأ بالفعل وتدل على طلب الرحمة في الدنيا، في حين أن الثانية بدأت بالاسم وتدل على طلب الرحمة في الآخرة.

<sup>1</sup> عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتاب، القاهرة، مصر، 1991 م، ص 52.

<sup>2</sup> نفسه، ص 53.

<sup>3</sup> ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 05، 1998 م، ص 69 / 71، وينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 03، 2008 م، ص 352 / 355.

**04 - السياق الثقافي:** وهو الدلالة التي تؤديها الظروف الاجتماعية، أو الثقافية في تحديد معاني الكلمات في سياق ما، مثل كلمة (حرمة)، وكلمة (مدام)؛ فالأولى تستخدم بين طبقات المجتمع المتوسطة ذات الثقافة القليلة، بينما تستخدم الكلمة الثانية بين طبقات المجتمع العالية ذات الثقافة المرتفعة للدلالة على الزوجة. وبناء على ما سبق فإن:

تعتبر "النظرية السياقية" من النظريات الأكثر أهمية في معرفة مدلولات الكلمات، والوصول إلى معانيها، ومضامينها من خلال وضعها في قوالب الجمل، والعبارات، وهذه القوالب يمكن لنا أن نسميها (السياق)، إذ أن السياق هو المحور الذي تقوم عليه "نظرية السياق" في الوصول إلى الدلالات، والأغراض.

وقد تبين لنا أن "النظرية السياقية" أصبحت عمادا في اللسانيات الحديثة، واعتنى الكثير من العلماء، والباحثين بما في دراسة دلالة الكلمات، والجمل، والنصوص، بل اعتبرها البعض بأنها تمثل انتقالا فريدا في علم الدلالة إذا تم تطبيقها بدقة متناهية، وراعى فيها أركانها، وأساساتها التي قامت عليه، خاصة أن "النظرية السياقية" لقيت اهتماما بالغاً بعد وفاة "جون روبرت فيرث"، وقاموا بتعديلات، وإضافات عليها، جعلها نظرية متكاملة من جميع زوايا اللغة؛ "فالنظرية السياقية" أصبحت تشكل مرجعا هاما في علم الدلالة، كما أن تطور مفهوم السياق عبر العصور، وانتقل من جيل إلى جيل، حتى أصبح نظرية علمية مستقلة على يد "روبرت فيرث"، فاكتملت أركانها، وظهرت معالمها لدى الباحث والقارئ؛ مما ساعدت في الكشف عن مدلولات الكلمات، والنص عامة ببسر، وسهولة، وتناول "النظرية السياقية" للسياق اللغوي (سياق النص) والسياق غير اللغوي (سياق الموقف يشير إلى اعتمادها على القاعدة البلاغية لكل مقام مقال) مما جعلها من النظريات الكاملة، والحاوية لكل عناصر الكلام إذا ما طبقت بحكمة، وجدارة.

#### مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 03، 2008 م.
2. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 05، 1998 م.
3. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
4. أف أر بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، 1999م.
5. أف أر بالمر، علم الدلالة، ترجمة محيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد العراق، 1980 م.
6. تمام حسان، اللغة ما بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 04، 2000 م.
7. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1974م.
8. حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995 م.
9. حيدر فريد عوض، سياق الحال في الدرس الدلالي تحليل وتطبيق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998م.

10. سالم سليمان الخماش، المعجم وعلم الدلالة، منشورات جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، 2007 م.
11. الطلحي بن ضيف الله، دلالة السياق، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1996 م.
12. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتاب، القاهرة، مصر، 1991 م.
13. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1985 م.
14. كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1971 م.
15. مطهري، صفية، الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007 م.
16. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981 م.

## المراجع باللغة الأجنبية:

1. Charles Ernest Bazell and others, *In memory of J.R.Firth*, Longmans, London, United Kingdom, 1966.
2. Edwin Ardener, *Social anthropology and language*, Tavistock Publications, London, New York, 1971.
3. J.R.Firth, *Papers in Linguistics*, Oxford University Press, London, United Kingdom, 1957.
4. J.R.Firth, *Speech*, Benn's Sixpenny Library, London, United Kingdom, 1930.
5. J.R.Firth, *The Tongues of Men*, Watts & Co, London, United Kingdom, 1937.
6. O'Grady Gerard, *Key Concepts in Phonetics and Phonology*, Palgrave, Canada, 2013.
7. Peter Kornicki, *Eavesdropping on the Emperor: Interrogators and Codebreakers in Britain's War with Japan*, Hurst & Co, London, United Kingdom, 2021.